نفحات رمضانية

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

(١)
من فضائل الصوم

الصيام له فضائل وخصائص عظيمة منها :

١ – الصيام سبب للمغفرة والأجر العظيم؛ لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

٢ – الصيام خير للمسلم لو كان يعلم؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون ﴾ سورة البقرة، الآية ١٨٤.

٣ – الصيام سبب من أسباب التقوى؛لقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ سورة البقرة الآية ١٨٣.

٤ – الصوم جُنة،يستجنُّ بها العبد المسلم من النار؛لحديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((قال ربنا ﷻ: الصيامُ جنةٌ يستجنُّ بها العبدُ من النار،وهو لي وأنا أجزي به)) أخرجه أحمد، ٣٣/٢٣، برقم ١٤٦٦٩، و٤١١/٢٣، برقم ١٥٢٦٤، وقال محققو المسند: ((حديث صحيح بطرقه وشواهده)).

وعن كعب بن عُجرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((أُعيذك بالله يا كعبَ بن عُجْرَةَ من أُمراءَ يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابَهم فصدَّقهم في كذبهم،

وأعانهم على ظلمهم،فليس منِّي ولستُ منه،ولا يردُ عليَّ الحوض، ومن غَشِيَ أبوابهم أو لم يغشَ فلم يصدقهم في كذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهوَ منِّي وأنا منه،وسَيَرِدُ عليَّ الحوض، يا كعبَ بنَ عُجرةَ: الصلاةُ برهانٌ، والصومُ جنّةٌ حصينةٌ، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ، النارُ أولى به، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نَفْسَه فمُعْتِقها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها)) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ذكر فضل الصلاة، برقم ٦١٤، وأحمد ٢٢/ ٣٣٢، برقم ١٤٤٤١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/٣٣٦.

٥- الصيام حِصْنٌ حصين من النار؛ لحديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: ((الصيام جُنَّةٌ وحِصْنٌ حَصِينٌ من النار)) أحمد ١٥/١٢٣، برقم ٩٢٢٥، وصحح إسناده محققو المسند، ١٥/١٢٣، وحسنه المنذري، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٥٧٨:((حسن لغيره)).

٦- الصيام جُنّةٌ من الشهوات؛ لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، قال: لقد قال لنا رسول الله ﷺ:((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاءٌ)) متفق عليه: البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العُزبة، برقم ١٩٠٥، ومسلم، كتاب النكام، باب استحباب النكام لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤنة بالصوم،برقم ١٤٠٠.

٧- صيام يوم في سبيل الله يباعد الله النار عن وجه صاحبه سبعين سنة؛ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من صام يوماً في سبيل الله بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً)) متفق عليه:البخاري،كتاب الجهاد

والسير،باب فضل الصوم في سبيل الله،برقم ٢٨٤٠، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، برقم ١١٥٣.

٨- صيام يوم في سبيل الله يبعد صاحبه عن النار كما بين السماء والأرض؛لحديث أبي أمامة الباهلي ﷺ ،عن النبي ﷺ قال:((من صامَ يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض)) الترمذي،كتاب فضائل،الجهاد، باب فضل الصوم في سبيل الله،برقم ١٦٢٤،وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي،٢٢٣/٢:((حسن صحيح))،وانظر:سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٥٦٣.

٩- الصوم وصية النبي ﷺ ، ولا مثل له، ولا عدل؛ لحديث أبي أمامة ﷺ ، قال: قلت: يا رسول الله: مُرني بأمر ينفعني الله به، قال: ((عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له))، وفي لفظ: أن أبا أمامة سأل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: ((عليك بالصوم فإنه لا عدل له))، وفي رواية أنه ﷺ قال: قلت: يا رسول الله مُرْني بعملٍ، قال: ((عليك بالصوم فإنه لا عِدْلَ له))، قلت: يا رسول الله مرني بعملٍ، قال: ((عليك بالصوم فإنه لا عدل له))أخرجه النسائي،كتاب الصيام،باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصيام،برقم ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي بجميع رواياته، ١٢٢/٢، و في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٩٣٧، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٥٨٠/١.

وفي لفظ ابن حبان في صحيحه: قال أبو أمامة: أنشأ رسول الله ﷺ جيشاً، فأتيته فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله لي بالشهادة، قال: ((اللهم سلِّمهم وغنِّمهم))، فغزونا فسلمنا وغنمنا، حتى ذكر ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته فقلت: يا رسول الله إني أتيتك تترى ثلاث مرات أسألك أن تدعوَ لي بالشهادة، فقلت: ((اللهم سلِّمهم وغنِّمهم))، فسلمنا وغنمنا، يا رسول الله، فمرني بعَمَلٍ أدخلُ به الجنة، فقال: ((عليك بالصوم؛ فإنه لا مِثْلَ لهُ))، فكان أبو أمامة لا يُرَى في بيته الدُّخانُ نهاراً،

إلا إذا نزل بهم ضيفٌ، فإذا رأوا الدخان نهاراً، عرفوا أنه قد اعتراهم ضيفٌ))

أخرجه النسائي،كتاب الصيام،باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصيام،برقم ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي بجميع رواياته، ١٢٢/٢، و في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٩٣٧، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٥٨٠/١.

١٠- الصوم يدخل الجنة من باب الريان؛ لحديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة باباً يُقالُ له: الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؛ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرُهم، فإذا دخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد)) وفي رواية:((في الجنة ثمانية أبواب،فيها باب يُسمَّى الريان لا يدخله إلا الصائمون)) متفق عليه: البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، برقم ١٨٩٦، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، برقم ١١٥٢.

١١- الصيام من أول الخصال التي تُدْخِلُ الجنةَ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أصبح اليوم منكم صائمًا؟))،قال أبو بكر:أنا. قال: ((فمن اتَّبع منكم اليوم جنازة؟))،قال أبو بكر:أنا. قال: ((فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟))،قال أبو بكر:أنا. قال: ((فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟))،قال أبو بكر:أنا،فقال رسول الله ﷺ: ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)) ولفظ البخاري في الأدب المفرد: ((ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة)) مسلم،كتاب الزكاة،باب فضل من ضمَّ إلى الصدقة غيرها من أنواع البر،برقم ١٠٢٨. البخاري في الأدب المفرد،برقم ٥١٥،وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد،ص١٩٥.

١٢- الصيام كفارة للذنوب؛ لحديث حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ: ((فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، تكفِّرها: الصلاة، والصوم، والصدقة،والأمر،

والنهي)) وفي لفظ:((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))**متفق عليه.**

١٣- يوفَّى الصائمون أجرهم بغير حساب.

١٤-للصائم فرحتان:فرحة في الدنيا،وفرحة في الآخرة.

١٥- خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.وقد دلَّ على هذه الفضائل الثلاث حديث أبي هريرة ﷺ:قال:قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة ،وإذا كان يومُ صَوْمِ أحدِكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتله فليقل: إنِّي امرؤٌ صائمٌ، والذي نفسُ محمد بيده! لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربَّه فَرِحَ بصومه))، وفي لفظ للبخاري: ((الصيام جُنَّة، فلا يرفث، ولا يجهل وإن امرُؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم – مرتين – والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه، وشرابه، وشهوته من أجلى، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها))، وفي لفظ لمسلم: ((كلُّ عملِ ابن آدم يُضاعف له: الحسنةُ عشرُ أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ﷻ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه،ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك))، وفي لفظ لمسلم:((... وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره،وإذا لقي ربه فرح بصومه)) متفق عليه: البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم ١٨٩٤، وباب هل يقول: إني صائم إذا شتم، برقم ١٩٠٤، ومسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، برقم ١١٥١، وباب فضل الصيام برقم ١٦٤- (١١٥١).

١٦- الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة؛ لحديث عبد الله بن عمرو،أن رسول الله ﷺ قال:((الصيامُ والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول

الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان)) أحمد في المسند، ١٧٤/٢، والحاكم، ٥٥٤/١، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

١٧- الصوم يزيل الأحقاد والضغائن والوسوسة من الصدور؛ لحديث الأعرابي الصحابي،وحديث ابن عباس ﷺ ،عن النبي ﷺ أنه قال:((صوم شهر الصبر وثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ: يذهبن وحر الصدر)) أخرجه أحمد، ١٦٨/٣٨، برقم ٣٠٧٠، ورقم ٢٣٠٧٧، و ٣٤٠/٣٤، برقم ٢٠٧٣٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير صحابيه. وأما حديث ابن عباس فأخرجه البزار،برقم ١٠٥٧،وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،٥٩٩/١:((حسن صحيح)).

١٨- الصوم باب من أبواب الخير؛ لحديث معاذ بن جبل ﷺ ، أن النبي ﷺ قال له: ((ألا أدلُّك أبواب الخير)) قلت: بلى يا رسول الله: قال: ((الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل))، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾، حتى بلغ يعملون)) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٦، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٧٨/١: ((صحيح لغيره)).

١٩- من خُتِمَ له بصيام يومٍ يريد به وجه الله أدخله الله الجنة؛ لحديث حذيفة ﷺ قال: أسندتُ النبي ﷺ إلى صدري فقال: ((من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنة، و من صام يوماً ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنة)) أحمد، ٣٩١/٥، وفي المحقق ٣٥٠/٣٨، برقم ٢٣٣٢٤، وقال محققو المسند: ((صحيح لغيره))، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٧٩/١.

٢٠- أعد الله الغرف العاليات في الجنة لمن تابع الصيام المشروع، وأطعم

الطعام، وألان الكلام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام؛ لحديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: ((إنَّ في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها،أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلَّى بالليل والناس نيام)) أحمد في المسند، ٣٤٣/٥، وابن حبان (موارد) برقم ٦٤١،والترمذي عن علي ﷺ، في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة، برقم ٢٥٢٧،وحسنه الألباني في صحيح الترمذي،٧/٣. وفي صحيح الجامع، ٢٢٠/٢، برقم ٢١١٩.

٢١-الصائم له دعوة لا تُردُّ حتى يفطر؛ لحديث أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتحُ لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي لأنصرنك و لو بعد حين)) ابن ماجه، كتاب الصيام، بابٌ: في الصائم لا تردُّ دعوته، برقم ١٧٥٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب سبق المفردون، برقم ٣٥٩٨.

٢٢- الصائم دعوته لا ترد حين يفطر؛ لما رُوي عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: ((إن للصائم عند فطره لدعوةً ما تُردُّ))، قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كلَّ شيء أن تغفر لي)) وقد جاء في لفظ بعض نسخ الترمذي للحديث الذي قبل هذا: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم)) ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا تردُّ دعوته، برقم ١٧٥٣، والحاكم، ٤٢٢/١، و قد حسنه ابن حجر في الفتوحات الربانية،٣٤٢/٤،وحسنه الألباني في صحيح الجامع،برقم ٤٥٥٤، وفي مشكاة المصابيح، برقم ١٩٩٣، ولكنه ضعفه في إرواء الغليل، برقم ٩٢١، وفي ضعيف سنن ابن ماجه ص ١٣٧.

٢٣- تفطير الصائمين فيه الأجر الكبير؛ لحديث زيد بن خالد الجهني ﷺ ، قال:

قال رسول الله ﷺ: ((من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً)) الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، برقم ٨٠٧، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، برقم ١٧٤٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٤٣٤/١.

٢٤-لعظم أجر الصيام جعله الله تعالى من الكفارات على النحو الآتي:

أ- كفارة فدية الأذى، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

ب- من لم يجد الهدي صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾سورة البقرة الآية: ١٩٦.

ج-كفارة قتل الخطأ؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ سورة النساء، الآية: ٩٢.

د- كفارة اليمين؛ لقول الله تعالى: ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ ﴾ سورة المائدة، الآية: ٨٩.

هـ - جزاء قتل الصيد في الإحرام؛ لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ واللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ سورة المائدة، الآية: ٩٥.

و- كفارة الظهار؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **سورة المجادلة، الآيتان: ٣ – ٤.**

ز- كفارة الجماع في نهار شهر رمضان؛لحديث:((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ.قَالَ:((وَمَا أَهْلَكَكَ)).قَالَ:وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: ((هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً)). قَالَ: لاَ. قَالَ: ((فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ)). قَالَ: لاَ. قَالَ: ((فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا)). قَالَ: لاَ، قَالَ ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ: ((تَصَدَّقْ بِهَذَا)). قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ:((اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ)) **متفق عليه: البخاري، برقم ١٩٣٧، ومسلم، برقم ١١١١ واللفظ له.**

قال الشاعر:

وفي كل عام لنا لقيا محببة * يهتز كل كيان حين ألقاه**
بالعين والقلب بالآذان أرقبه * وكيف لاوأنا بالروح أحياه**
والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت * ساعاتها طفيا لهاوأحلاه**
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى * فما أجل وما أجلى محياه**
ألقاه شهراً ولكن في نهايته * يمضي كطيف خيال قد لمحناه**
في موسم الطهر في رمضان الخير* تجمعنا محبة الله لا مال ولا جاه**
من كل ذي خشية لله ذي ولع * بالخير نعرفه دوماً بسيماه**
قد قدروا مواسم الخيرات قد سبقوا * والاستباق هنا المحمود عقباه**
صاموه قاموه إيماناً محتسباً * أحيوه طوعاً وما في الخير إكرام**
وكلهم بات بالقرآن مندمجاً ***كأنه الدم يسري في خلاياه
فالآذان سامعة والعين دامعة ***والروح خاشعة والقلب أواه

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال .

(٢)
من فوائد الصوم

للصوم فوائد متعددة منها :

١- فوائد روحية :

إن الصوم هو من أهم العوامل والمؤثرات التي تربط الإنسان بخالقه وتوقظه من غفلته فيندم على ما ارتكبه من المخالفات والآثام وتصحو هذه النفس عن المعاصي وينقطع شهرا إلى الله تعالى حتى وهو في عمله دائما يتذكر صيامه ومع تلاوة القرآن وفي كل أحواله هو مع الله تعالى. إشراقات ونورانيات وروحانيات كلها ببركة شهر القرآن توبة وغفران وعفو ورضوان ينقاد إليه المسلم في هذا الشهر فيعود إلى نقاء وصفاء وسمو روح عن كثير من الشهوات وملذات الجسد ولهذا نجد كثير من الحكماء جعل الصوم كالعين للجسد كلما راح في غيه رجع للصوم ليجد فيه ومنه الصفاء والحكمة .

ففوائد الصوم الروحية تبدأ من –تثبيت الإخلاص والإخلاص ضرورة لكل عبادة إلا أنه في الصوم ذا خصوصية لا تكون في غيره من العبادات لخصوصيته بسره وكتمانه ولاشتراك الناس في العبادات إلا الصوم الذي نسبه الله لنفسه فقال الصوم لي وأنا أجزي به.

والصوم يذكر بالنعم التي أنعم الله بها على العبد فهو يتذكر ويشكر ويدوم على شكرها بالمراقبة للمنعم.

كما أنه يعود المسلم على الصبر والإرادة والعزيمة والتحمل ، ويعلم ضبط النفس ويساعد عليه ، ويوجد في النفس ملكة التقوى ويربيها ، وبخاصة التقوى التي هي العلامة البارزة من الصوم . أنه عبادة يتقرب بها العبد إلي ربه بترك محبوباته المجبول علي محبتها من الطعام وشراب ونكاح ، لينال بذلك رضي ربه

والفوز بدار كرامته ،والصيام يربي الإرادة على اجتنـــاب الهـــوى والبعـــد عـــن المعاصي ، إذ فيه قهر للطبع وفطم للنفس عن مألوفاتها.وفيه كذلك اعتياد النظام ودقة المواعيد مما يعالج فوضى الكثيرين لو عقلوا.

كذلك من فوائد الصيام التدريب علي الصبر وهو صفة مهمة لكل مسلم، وبخاصة الجنود والمقاتلين.

ومن فوائد الصيام وحكمه أيضًا: أنه يرقق القلب ويلينه ويتخلى القلب للذكر والفكر.

ومن فوائد الصوم وحكمه: أن الصيام الخالص والصيام الحقيقي يورث في القلب حب الطاعة وبغض المعصية.

٢- فوائد اجتماعية :

رمضان فرصة لتربية الرحمة في النفوس، حتى تعيش الجسد الواحد الذي يـــؤلم بعضَه ألمُ بعض، إنه من سنن الحياة أن الرحمة تظهر عند الإحساس بـــالألم، وأن الطغيان ينشأ عند الغفلة مع الأمن والغنى، كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّءاهُ اسْتَغْنَى [العلق:٦، ٧]، وهذا بعض السر الاجتماعي في الصوم، إذ يبـــالغ المـــسلم أشـــد المبالغة ويدقق كل التدقيق في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مـــدةً آخرها آخر الطاقة، وهي طريقة عملية لتربية الرحمة فـــي الـــنفس، ولا طريـــق غيرها إلا النكبات والكوارث التي تحل بالناس،أنه يعود الأمة النظـــام والاتحـــاد ، وحب العدل والمساواة ، ويكوّن في المؤمنين عاطفة الرحمة وخلق الإحسان ، كما يصون المجتمع من الشرور والمفاسد .

و من الحكم الجليلة التي شرع لها الصيام أن يشعر الإنسان بالجوع فترة الصيام فيتذكَّر أهل الجوع دائماً من المساكين و الفقراء، ليرأف بهم، ويرحمهم، ويتصدق عليهم.

فشُرع الصيام لأجل أن يتضرع الإنسان -إذا ما أحسَّ بالجوع- فيدعو ربه، كمـــا ورد في الحديث: "إن النبي صلى الله عليه و سلم عرضت عليه جبال مكة ذهبـــاً،

فقال: لا يا رب بل أرضى بأن أجوع يوماً، و أشبع يوماً، فإذا جُعْتُ تضرعتُ إليك و ذكرتك، و إذا شبعت حمدتك و شكرتك"(أخرجه الترمذي برقم ٢٣٤٧ و قال حديث حسن). فذكر أن الجوع سببٌ للتضرع و الذكر. فالإنسان€ إذا أحس بالجوع تضرع إلى الله.

وقال النبي ﷺ: ((الصوم جنة))، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وِجاءَ هذه الشهوة.

يقول ابن كثير رحمه الله(تفسير القرآن العظيم ٢١٣/١): "يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين من هذه الأمة و آمراً لهم بالصيام؛ و هو الإمساك عن الطعام و الشراب و الوقاع بنية خالصة لله عز و جل لما فيه من زكاة النفوس و طهارتها و تنقيتها من الأخلاط الردئية و الأخلاق الرذيلة، و ذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيهم أسوة حسنة، و ليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك.. ثم قال: و الصوم فيه تزكية للبدن و تضييق لمسالك الشيطان..." ا هـ.

يقول شوقي : "الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويسن خِلال البر، حتى إذا جاع من أَلف الشبع وعرف المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".

روى أن عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنه كتب إليه عمر رضي الله عنه إن أقدم علينا فلم يشعر عمر إلا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده وإداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر إليه عمر قال له يا عمير أأجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت إليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا إن لقيته ومزود أحمل فيه طعامي وإداوة أحمل فيها ماء لشربي ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد إلا تبع

لما معى قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه إلى قبر رسول الله وأبـــي بكـــر رضي الله عنه فبكي بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غيـــر مفتـــضح ولا مبدل ثم عاد إلى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال أخذت الإبل مـــن أهل الإبل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بـــين الفقـــراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به فقال عمر عد إلى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي فأذن له فأتي أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لي عميرا وأنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فإن كان في ضيق فادفع إليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم يـــر لـــه عيـــشا إلا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب إن رأيت أن تتحول إلى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فإننا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا الآثرناك به قال فدفع إليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين إليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين مـــن طعـــام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع إليهم .

وروى أن عمر رضي الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فـــذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هـــذه فـــي بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام إلى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها إلى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضي إليه وقال له كما قال لأبي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبـــو عبيدة فرجع الغلام فأخبره عمر فقال أنهم إخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى

عنهم أجمعين .

٣- فوائد صحية :

ويفيد علماء الطب أن فوائد الصوم لصحة الإنسان وسلامة بدنه كثيرة جداً، منها ما يتعلق بالحالة النفسية للصائم وانعكاسها على صحته، حيث أن الصوم يساهم مساهمة فعالة في علاج الاضطرابات النفسية والعاطفية، وتقوية إرادة الصائم، ورقة مشاعره، وحبّه للخير، والابتعاد عن الجدل والمشاكسة والميول العدوانية، وإحساسه بسمو روحه وأفكاره، وبالتالي تقوية وتدعيم شخصيته، وزياة تحمّلها للمشاكل والأعباء، ومما لا شك فيه ذلك بصورة تلقائية على صحة الإنسان.

ومن فوائد الصوم، كونه يساهم في علاج الكثير من أمراض الجسم، كأمراض جهاز الهضم، مثل التهاب المعدة الحاد، وأمراض الكبد، وسوء الهضم، وكذلك في علاج البدانة وتصلب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، وخناق الصدر والربو القصبي وغيرها.

وفي هذا المجال كتب الطبيب السويسري بارسيليوس "إن فائدة الجوع قد تفوق بمرّات استخدام الأدوية"، أما الدكتور فيليب، فكان يمنع مرضاه من الطعام لبضعة ايام، ثم يقدّم لهم بعدها وجبات غذائية خفيفة، وبشكل عام فإن الصوم يساهم في هدم الأنسجة المتداعية وقت الجوع، ثم إعادة ترميمها من جديد عند تناول الطعام، وهذا هو السبب الذي دعا بعض العلماء ومنهم "باشوتين"، لأن يعتبروا أن للصوم تأثيراً معيداً للشباب.

ولذا فإن فوائد الصيام كثيرة تشمل كل أبعاد الحياة الإنسانية، بحيث أنها تدخل في كل خلية من خلايا الجسم، وتشمل كل ذرة فيه، كما أنها تلج في عملية بناء الروح والنفس وترويضها والسير بها نحو الكمال، وما تقي منه على صعيد الجسد أمور منها:

أ ــ الوقاية من الأورام

وهو يقوم بدور مشرط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة والضعيفة في الجسم،

باعتبار أن الجوع يحرك الأجهزة الداخلية في الجسم لمواجهة ذلك الجـوع، مـا يفسح المجال للجسم لاستعادة حيويته ونشاطه، ومن جانب آخر، فإنه يقوم بعملية بناء الخلايا والأعضاء المريضة، ويتم تجديد خلاياها، فضلاً عن دور الوقاية مـن كثير من الزيادات الضارة مثل الحصوة والرواسب الكلـسية والزوائـد اللحميـة والأكياس الدهنية، والأورام في بدايات تكونها.

ب ــ التوازن في الوزن:

يقوم بدور إنقاص الوزن لمن يعاني السمنة، ولكن بشرط أن يصاحبه اعتدال فـي كمية الطعام في وقت الافطار، وإلا يتخم الإنسان معدته بالطعـام والـشراب بعـد الصيام، وهنا يفقد الصيام خاصيته في جلب الصحة والعافية والرشاقة، ويزداد معه بدانة.

ج ــ الحماية من السكر:

يقوم بعملية خفض نسبة السكر في الدم إلى أدنى معدلاتها، ويتم ذلك مـن خـلال إعطاء البنكرياس فرصة للراحة، لأن البنكرياس يفرز الأنسولين الذي يحوّل السكر إلى مواد نشوية ودهنية تخزن في الأنسجة، وعندما يزيـد الطعـام عـن كميـة الأنسولين المفرزة يصاب البنكرياس بالإرهاق ويعجز عن القيام بوظيفته، فيتراكم السكر في الدم وتزيد معدلاته بالتدريج حتى يظهر مرض السكر، وللوقاية من هذا المرض أقيمت دورة للعلاج تتبع نظام حمية وتوقف عن تناول الطعام باتباع نظام الصيام لفترة تزيد على عشر ساعات، وتقل عن عشرين كلٌ حـسب حالتـه. ثـم يتناول المريض وجبات خفيفة ، وذلك لمدة متوالية لا تقل عن ثلاثة أسابيع، وقـد حقق هذا الأسلوب في المعالجة نتائج مهمة فـي عـلاج مـرض الـسكر ودون الاستعانة أو استخدام أية عقاقير كيميائية.

د ــ علاج الأمراض الجلدية:

إن الصيام يفيد في علاج الأمراض الجلدية، والسبب في ذلك أنه يقلل نسبة الماء في الدم فتقل نسبته بالتالي في الجلد، مما يعمل على:

ــ زيادة مناعة الجلد ومقاومة الميكروبات والأمراض المعدية الجرثومية.

ـ التقليل من حدة الأمراض الجلدية التي تنتشر في مساحات كبيرة من الجسم مثل مرض الصدفية.

ـ تخفيف أمراض الحساسية والحد من مشاكل البشرة الدهنية.

ـ مع الصيام تقل إفرازات الأمعاء للسموم وتناقص نسبة التخمر الذي يسبب دمامل وبثوراً مستمرة.

هـ ـ الوقاية من داء النقرس:

وينتج عادة عن زيادة التغذية والإكثار من أكل اللحوم، ومعه يحدث خلل في تمثيل البروتينات المتوافرة في اللحوم "خاصة الحمراء" داخل الجسم، مما ينتج عنه زيادة ترسيب حامض البوليك في المفاصل، خاصة مفصل الأصبع الكبير للقدم، وعند إصابة مفصل بالنقرس فإنه يتورم ويحمر ويصاحب هذا ألم شديد، وقد تزيد كمية أملاح البول في الدم ثم تترسب في الكلى فتسبب الحصوة، وإنقاص كميات الطعام علاج رئيسي لهذا المرض.

و ـ الحماية من جلطة القلب والمخ:

أكد الكثيرون من أساتذة الأبحاث العلمية والطبية ـ وأغلبهم غير مسلمين ـ أن الصوم ينقص من الدهون في الجسم ما يؤدي إلى نقص مادة "الكوليسترول" فيه، وهي عادة تترسب على جدار الشرايين، وبزيادة معدلاتها مع زيادة الدهون في الجسم تؤدي إلى تصلب الشرايين، كما تسبب تجلط الدم في شرايين القلب والمخ.

ز ـ علاج لآلام المفاصل:

آلام المفاصل مرض يتفاقم مع مرور الوقت، فتنتفخ الأجزاء المصابة به، ويرافق الانتفاخ آلام مبرحة، وتتعرض اليدان والقدمان لتشوهات كثيرة، وذلك المرض قد يصيب الإنسان في أية مرحلة من مراحل العمر، ولكنه يصيب بالأخص المرحلة ما بين الثلاثين والخمسين، والمشكلة الحقيقية أن الطب الحديث لم يجد علاجاً لهذا المرض حتى الآن، ولكن ثبت بالتجارب العلمية في بلاد روسيا أنه يمكن للصيام أن يكون علاجاً حاسماً لهذا المرض، وقد أرجعوا هذا إلى أن الصيام يخلص الجسم تماماً من النفايات والمواد السامة، وذلك بصيام متتابع لا تقل مدته عن ثلاثة

أسابيع، وفي هذه الحالة فإن الجراثيم التي تسبب هذا المرض تكون جـزءاً ممـا يتخلص منه الجسم أثناء الصيام، وقد أجريت التجارب على مجموعة من المرضى وأثبتت النتائج نجاحاً ملموساً.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : (صوموا تصحوا) [ابن السني ، وأبو نعيم وحسنه السيوطي] .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: ((لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية؛ لتستعدَّ لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها،وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية،ويكسِر الجوع والظمأ من حدتها وسَوْرتها، ويذكّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين،وتـضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب،وتحبس قُوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها،ويُسكِّن كلَّ عـضو منها وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين،وجُنـة المحـاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبـوده، فهـو تـرك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يطَّلِع عليه سواه، والعباد قد يطَّلِعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

و من الحكم في الصيام أن الإنسان يقلل من الطعام حتى يحـس بـأثر الجـوع، فيتضرع و يدعو الله، و يتواضع له، و يكون ذاكراً له، مقبلاً إليه، متواضعاً بـين يديه.

و قد جعل النبي صلى الله عليه و سلم الصوم للشباب وجَاءً أي: مخففاً من حـدة الشهوة كما في قوله صلى الله عليه و سلم: "يا معشر الشباب، من استطاع مـنكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج، و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له و جاء". (متفق عليه). ذلك أن الصوم يكسر حدة شهوة النكاح.

وفي ذلك يقول الشاعر معروف الرصافي وهو يصف بعض الصائمين الذين يتهافتون على الطعام غير مبالين بالعواقب:

وأغبى العالمين فتى أكول * * * لفطنته ببطنته انهزام

ولو أني استطعت صيام دهري * * * لصمت فكان ديدني الصيام

ولكن لا أصوم صيام قوم * * * تكاثر في فطورهم الطعام

فإن وضع النهار طووا جياعا * * * وقد هموا إذا اختلط الظلام

وقالوا يا نهار لئن تجعنا * * * فإن الليل منكلنا انتقام

وناموا متخمين على امتلاء * * * وقد يتجشئون وهم نيام

فقل للصائمين أداء فرض * * * ألا ما هكذا فرض الصيام

فالصوم مدرسة تربوية كبرى دروسها لا تحصى ولا تستقصى ، فطوبى للمشمرين القانتين .

(٣)

رمضان وسبل النجاة

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ. أخرجه أحمد ٤/١٤٨(١٧٤٦٧) و"التِّرمِذي"٢٤٠٦ قال التِّرْمِذِيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ. الألباني الصحيحة (٨٨٨).

في هذا الحديث الجامع المانع يرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى سبل النجاة في الدنيا والآخرة ، النجاة في الدنيا من الوقوع في الخطايا والآثام ومن بغض الناس ومجانبتهم للمرء ، ومن ضياع الأسر وتفككها ، ومن قساوة القلب وجموده ، وفي الآخرة من غضب الجبار ودخول النار .

والصيام يحقق هذه السبل الثلاث للنجاة فهو يجعلنا نحفظ ألسنتنا، ويجعلنا نحفظ بيوتنا ونعلي من حرارة الإيمان فيها ، ويجعلنا نحاسب أنفسنا ونعاتبها ونراجع خطايانا وذنوبنا ، فنندم عليها ونفارقها .

١- ألسنتنا في رمضان :

المسلم الحق هو الذي يحذر كل الحذر من لسانه ؛ لأنه سوف يحاسب على كل كلمة بل كل لفظ ينطق به لسانه قال تعالى : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد) [ق: ١٨] ،وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: "الفم و الفرج" [قال الترمذي: حديث حسن صحيح].

وسأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فأخبره النبي ﷺ برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال: "ألا أخبرك بِملاكِ ذلك كلِّه؟" قال: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "كُفَّ عليكَ هذا". فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا معاذ؛ وهل يَكُبُّ الناسَ على وجوهِهِم –أو على مَناخِرِهِم– إلا حصائدُ ألسنتِهم". [قال الترمذي: حديث حسن صحيح].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: إذا أصبح ابنُ آدمَ فإنَّ أعضاءَه تُكَفِّرُ اللسانَ؛ تقول: اتق اللهَ فينا؛ فإنكَ إنِ استقمتَ استقمنا، وإنِ اعوججتَ اعوججنا.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ، ولا يدخلُ الجنةَ حتى يأمنَ جارُهُ بَوائقَهُ". [رواه أحمد، وابن أبي الدنيا في "الصمت"، وحسنه الألباني].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.أخرجه أحمد ٣٣٤/٢(٨٣٩٢) . والبُخاري (٦٤٧٨) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، قَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاَةٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. أخرجه أحمد ٣٠٣/٢(٨٠١٦) و"مسلم" ٦٦٧١ و"التِّرمِذي" ٢٤١٨ .

ذكر الإمام مالك في الموطأ : [عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أنه دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه -أي: يجره بشدة- فقال له عمر : مه! غفر الله لك، فقال أبو بكر : إن هذا أوردني الموارد].

قال رجل: رأيت ابن عباس آخذاً بثمرة لسانه -يعني: ممسكاً به- وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، قال: فقال له رجل: يا بن عباس ! ما لي أراك آخذاً بثمرة لسانك تقول: كذا وكذا؟! قال ابن عباس : بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه] يعني: لا يغضب على شيء من جوارحه أشد من غضبه على لسانه، والأثر أخرجه ابن المبارك و أحمد و أبو

نُعيم ، وأيضاً أخرجه أحمد في كتاب الزهد ، والمتن بمجموع طرقه حسن.

قال النووي في الأذكار : بلغنا أن قس بن ساعدة ، و أكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه: [كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟! فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته: ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلةً إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال ما هي؟ قال: حفظ اللسان.

قال إبراهيم التيمي : أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمةً تعاب، الله المستعان! عشرين عاماً ما سمع منه كلمةً تعاب، والأثر ذكره ابن سعد في الطبقات .

قال بعض السلف : تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة كنت إذا هممت بالكلمة تلجلج بها لساني فيسكت ، وقال بعضهم : جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلكّ عليّ فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهلّ عليّ فلم أنتهِ حتى جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب ذلك فانتهيت .

قال أحدهم :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم * * * إن الجواب لباب الشر مفتاح

الصمت عن جاهل أو أحمق شرف * * * أيضاً وفيه لصون العرض إصلاح

أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة * * * والكلب يُخسأ لعمري وهو نباح

وعن ابن مسعود وسلمان الفارسي، قالا :أكثر النّاس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.

إن السكوت سلامةٌ ولربما ... زرع الكلام عداوةً وضِرارا

فإن ندمتَ على سكوتكَ مرةً ... فلتندمنَّ على الكلام مِرارا

قال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقيل للقمان عليه السلام اذبح هذه الشاة وأطعمنا أطيب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها ثم قيل له اذبح شاة وأطعمنا أخبث ما فيها فجاء بقلبها ولسانها فسئل عن ذلك فقال ليس في الجسد مضغتان أخبث منهما إذا خبثا ولا أطيب منهما إذا طابا .

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان * * * لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * * * كانت تهاب لقائه الشجعان

ومن فوائد الصوم وثماره الطيبة أنه يعلم الإنسان كيف يصون لسانه عن اللغو والباطل ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، وَالْجَهْلَ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

أخرجه أحمد ٢/٤٥٢(٩٨٣٨) و"أبو داود" ٢٣٦٢ و"ابن ماجة" ١٦٨٩ و"التِّرمِذي" ٧٠٧ و"النَّسائي" في "الكبرى" ٣٢٣٣ .

فإذا ما حاول أحد أن يخرجه عن ضبط اللسان ومراقبته فينبغي عليه أن لا ينساق وراء ذلك بل يضبط لسانه قدر استطاعته .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ.

ـ وفي رواية : إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ. أخرجه مالك "الموطأ" ٣٠٦ . و"أحمد" ٢/٢٤٥(٧٣٣٦) و"البُخاري" ١٨٩٤ و"مسلم" ٣/١٥٧ .

وعَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ : فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : قِيئِي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. – أخرجه أحمد ٥/٤٣١(٣٤٠٥٣).

وفي رمضان هناك ألسنة تستحق القطع ، وهناك ألسنة تستحق التقبيل ، فألسنة

المنافقين الذين يحادون الله ورسوله ولا هم لديهم إلا إفتان الناس عن دينهم ألسنة تستحق القطع ، روت كتب التفسير أن عمير بن سعد هذا الفتى الصغير الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره، عمير بن سعد رضي الله عنه وأرضاه، والذي مات أبوه فتزوجت أمه برجل ثري غني يقال له: الجلاس بن سويد ، ولما كان في السنة التاسعة من الهجرة دعا رسول الله المسلمين أن ينفقوا، وأن يبذلوا لغزوة تبوك، فتسابق المسلمون في الإنفاق، وعاد الفتى الصغير عمير بن سعد ليقص على زوج أمه الجلاس بن سويد ما كان من أخبار المؤمنين الصادقين، وما كان من تخلف المنافقين والمرجفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الجلاس بن سويد كلمة خبيثة خطيرة، قال: يا عمير ! إن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير، وهنا حلقت عين الفتى المؤمن في وجه هذا الرجل، وقال له: والله! ما كان أحد على ظهر الأرض أحب إلي بعد رسول الله منك، أما وقد قلت هذه المقالة فلقد قلت مقالة إن قلتها فضحتك، وإن أخفيتها أهلكت نفسي وديني، فكن على حذر من أمرك؛ فإني مخبر رسول الله بما قلت، وانطلق الفتى الصادق الذي وعى ما سمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقص عليه ما كان من الجلاس بن سويد ، فأجلسه النبي عنده، وأرسل النبي رجلاً ليأتيه بـ الجلاس ، للتثبت والتبين قبل الحكم، وجاء الجلاس ، فأنكر ما قاله الفتى المؤمن، وقال: والله! يا رسول الله! ما قلت، وإن عميراً قد كذب علي، ولماذا أقول هذا؟! ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الفتى المؤمن وقد احتقن وجهه بالدم واحمر، وانهمرت الدموع على خده وعلى وجنيته، وارتعد وخاف، ماذا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ووالله! لم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزل على رسول الله الوحي في مجلسه هذا، ونزل عليه الوحي الذي يبرئ هذا الفتى الذي رفع أكف الضراعة إلى الله وقال: اللهم أنزل على رسول الله تصديق ما قلت، ونزل قول الله جل وعلا: { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ } [التوبة: ٧٤] فصرخ الجلاس بن سويد وقال: صدق عمير يا رسول الله! وأتوب

إلى الله يا رسول الله! وهكذا التفت النبي إلى هذا الفتى الصادق الذي بللت وجهه مرة أخرى دموع الفرح بعد دموع الحزن والألم، ومد الحبيب يده إلى أذن عمير بن سعد ففركها بيسر ولين وقال له: (لقد وفّت أذنك ما سمعت، وبرأك ربك يا عمير)!. تفسير الرازي ٩٨/٧ ، تفسير ابن كثير ٧٩/٤ ،الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣٧.

وهناك ألسنة تستحق التقبيل ، ابن حجر رحمه الله ذكر في كتابة فتح الباري قصة عن أبي داود ، أبو داود هو العالم الذي صنف كتاباً في الحديث ضمن كتاباً فيه من الأحاديث ما يزيد على خمسة الآف حديث وهو الذي يقال أخرجه أبو داود أو رواه أبو داود ، ابن حجر رحمه الله قال صحت عنه فيذكر رحمه الله فيقول كان أبو داود في سفينة من السفن فلما تحركت هذه السفينة إذا برجل على الشاطئ يعطس فحمد الله ورفع صوته بالحمد فماذا صنع أبو داود استأجر قارباً من قوارب هذه السفينة بدرهم من أجل أن يأتي إلى هذا الرجل الذي عطس ليشمته فانتقل بهذا القارب وشمته ثم رجع فقيل له لماذا صنعت كل هذا فقال رحمه الله لعله مجاب الدعوة إذا قلت (يرحمك الله) قال (يهديكم الله ويصلح بالكم) ربما يكون مجاب الدعوة فيقول نام مَنْ في السفينة فلما رقدوا إذا بمنادٍ ينادي يقول (إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم) .الفتح ٤٤٠/١٧.

لذا فقد جاءه سهل بن عبد الله التستري فقيل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، قال: فرحب به وأجلسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة، وما هي قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبله، قال: فأخرج له لسانه فقبله. وفيات الأعيان ٤٠٥/٣ .

فرمضان فرصة لحفظ ألسنتنا من الكذب ومن الغيبة والنميمة ومن القيل والقال ، فكل ذلك يحبط أجر الصائم . ولله در القائل :

إذا لم يكنْ في السمعِ مِنّي تَصَوُّنٌ *** وفي بصري غَضٌ، وفي منطقي صَمْتُ
فحَظّي إذًا مِن صومِي الجوعُ والظمأ *** وإن قُلتُ: إني صُمْتُ يومًا فما صُمْتُ

٢- بيوتنا في رمضان :

إن الاهتمام بالبيت هو الوسيلة الكبيرة لبناء المجتمع المسلم، فإن المجتمع يتكوّن من بيوت هي لبناته، والبيوت أحياء، والأحياء مجتمع، فلو صلحت اللبنة لكان مجتمعنا قوياً بأحكام الله، صامداً في وجه أعداء الله، يشع الخير ولا ينفذ إليه الشر.

فيخرج البيت الصالح إلى المجتمع أركان الإصلاح فيه؛ من الداعية القدوة، والقائد الرباني، وطالب العلم المجتهد، والمجاهد الصادق، والشاب الغيور على دينه وعلى عرضه، والبنت العفيفة الطاهرة، والزوجة المخلصة، والأم المربية، وبقية الصالحين المصلحين.

والاهتمام بالبيوت لإصلاحها وتقويمها يتطلب عدة أمور منها :

١- حسن اختيار الزوجة: لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "تنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" متفق عليه.

وقوله "ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة" **رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ثوبان وهو في صحيح الجامع.**

٢- السعي في إصلاح الزوجة:

وذلك بالاعتناء بتصحيح عقيدتها، وعبادتها بكافة أنواعها، والسعي لرفع إيمانها وذلك بحثها على قيام الليل، وتلاوة الكتاب العزيز، وحفظ الأذكار والتذكير بأوقاتها، ومناسبتها، وحثها على الصدقة، وقراءة الكتب الإسلامية النافعة، وسماع الأشرطة الإسلامية المفيدة، العلمية منها والإيمانية.

فعن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك - وهو من أصحاب رسول الله- ممن شهد بدراً من الأنصار - أنه أتى رسول الله- فقال: يا رسول الله! قد أنكرت بعدي وأنا أصلي لقومي، إذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وددت يا رسول الله! لو أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "سأفعل-

إن شاء الله-" قال عتبان: فغدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول لله – صلى الله عليه وسلم- فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: " أين تحب أن أصلي من بيتك؟" قال : فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم. **رواه البخاري.**

فعن عائشة قالت: " كان رسول الله يصلي من الليل فإذا أوتر، قال: قومي فأوتري يا عائشة " **رواه مسلم.**

وقال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء" **رواه أحمد انظر صحيح الجامع.**

٣- الاهتمام بتربية الأولاد تربية إيمانية متكاملة ، جسمانيا ونفسيا وعقليا .

قال الله- تعالى-: {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين} قال ابن عباس: أمروا أن يتخذوها مساجد.

وقال ابن كثير: وكأنّ هذا – والله أعلم- لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة؛ كما قال الله – تعالى-: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.

والبيت المسلم في شهر رمضان لا بد أن يكون شامة وعلامة ومتميزاً عن غيره من البيوت ، فهو بيت رباني ، جعل الإيمان طريقه ، والتقوى والعبادة رفيقه ، وهو بيت المسؤولية كل فرد فيه يعرف ماله وما عليه ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

أَخْرَجَهُ أحمد ١٣١/٢(٦٠٢٦) و"البُخَارِي" ٦/٣ و٦/٤(٢٧٥١) و"مسلم" ٨/٦(٤٧٥٥) .

إن المشكلة التي تواجهها كثير من بيوتنا اليوم أن بعض أفراد هذه البيوت قد تخلو عن مسؤولياتهم ، فالأب ترك مسؤولية التربية كاملة للأم ، والأم قد انشغلت بأشياء أخرى غير تربية الأولاد ، وصار كلا منهما ينحي باللوم على الأخر ، ومن هنا جاءت وصية النجاة (وليسعك بيتك) فمتى نعود إلى بيوتنا نصلح منها ما أفسدته بعض وسائل الإعلام الفاسدة ، ونصلح منها ما قصرت فيه المدارس ؟ .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : نعم صومعة المرء المسلم بيته، يكف لسانه وفرجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق، فإنها تلهى وتلغى .

ورمضان فرصة لذلك ، فعلى الوالدين قبل رمضان وضع برنامج للأسرة في رمضان وهذا البرنامج يتضمن :

١- الاهتمام بإظهار الفرح والاستبشار بقدوم شهر رمضان.

٢- ليجلس الوالدان مع الأولاد في بداية رمضان ، ويكون حديثهم عن فضل الشهر الكريم وأبواب الجنة المفتوحة، وأنه فرصة لكل واحد أن يزيد حسناته ويتقرب إلى الله، ويشجعان الصغار على الصيام كل حسب طاقته .

وخذ في بيان الصوم غير مقصر * * * عبادة سر ضد طبع معود

وصبر لفقد الإلف في حالة الصبا * * * وفطم عن المحبوب و المتعود

فثق فيه بالوعد القديم من الذي * * * له الصوم يجزى غير مخلف موعد

فقم ليله و اطو نهارك صائما * * * و صن صومه عن كل لغو ومفسد

٣- وضع جدول لختم القرآن ومن الممكن جمع الأسرة بعد السحور وقبل الفجر لقراءة جزء من القرآن ، فهو وقت مناسب لذلك ، ثم يكون لكل واحد ختمة أخرى مع نفسه . فقد كان النبي ﷺ يتدارس هو وجبريل عليه السلام القرآن مرة في كل رمضان وفي آخر سنة مرتين كما في صحيح البخاري... وكان لتلك المدارسة آثار عملية عليه ﷺ ومنها الجود والكرم وغيره... كما في الحديث نفسه... وكذلك كان السلف الكرام رضي الله عنهم يتفرغون لمدارسته وقراءة القرآن في رمضان أكثر من غيره فهو شهر القرآن.

٤- اصطحاب الأولاد لصلاة الجماعة في المسجد ، وبخاصة صلاة القيام ، الأب

يصطحب الذكور وإلام تصطحب البنات . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) رواه مسلم. فقد صح عنه ﷺ : (أن من صلى مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) (رواه أحمد وغيره صحيح الجامع ١٦١٥) . وكن ممن وصفهم الله بقوله (كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {١٧} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {١٨}) . (سورة الذاريات – ١٧ – ١٨).

إذا ما الليل أقبل كابدوه * * * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * * * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود * * * أنين منه تنفرج الضلوع

وصدق ﷺ حيث قال (شرف المؤمن قيامه بالليل) . (صحيح الجامع ٣٧١٠).

٥ – تعويد الأولاد على الجود والصدقة في رمضان .قال صلى الله عليه وسلم : (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقض من أجر الصائم شيئاً) رواه أحمد والترمذي وصححه وانظر صحيح الجامع (٦٤١٥) .

إن الغصون إذا عَدَّلتها اعتدلت * * * ولا تلين إذا قومتها الخشبُ !

قد ينفع الأدبُ الأحداث في مهلٍ * * * وليس ينفع بعد الكبرة الأدبُ

٦ – تعليمهم أحكام الصيام وتحفيظهم أذكار الصباح والمساء . ومن الأمور المهمة التي تستغل بها وقتك الدعاء وخاصة عند الإفطار ، قال ﷺ (ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر) .

وكذلك في وقت السحر حيث النزول الإلهي نزولاً حقيقياً يليق بجلال الله وكما ثبت في الصحيح وغيره أنه ينزل في الثلث الأخير من كل ليلة، يقول : هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر ، وقال ﷺ : (إن الله في كل يوم عتقاء من النار، في شهر رمضان، وإن كل مسلم دعوة يدعو بها، فيستجاب له) . (رواه أحمد وغيره انظر صحيح الجامع ٢١٦٩ – ٢١٧٠).

ورحم الله الشافعي إذ يقول :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * * * ما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطى ولكن * * * لها أمد وللأمد انقضاء

٧ – حثهم على الإكثار من النوافل مثل صلاة الضحى والسنن الرواتب والتطوع

وغيرها .

ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يحرصون على تدريب أولادهم في رمضان على الصيام والقيام ، بوب البخاري في صحيحه عن الربيع بنت مُعّوذ قالت: " كنا نصوم، ونصوِّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار."

وقال العلماء: وهو ليس بواجب، ولكن ليتمرن الطفل عليه، وقاسوه على الصلاة، والأمر بها » :مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر.

قال وهب بن منبه:لبث رجل عابد سبعة أيام لم يرزق شيئا، فقالت امرأته-:لو خرجت فطلبت لنا شيئا؟فخرج العابد فوقف مع العمال،فاستؤجر العمال، وصرف الله عن العابد الرزق، ولم يستأجره أحد فقال -:والله لأعملن اليوم مع ربي.فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل،ولم يزل راكعا وساجدا حتى أمسى . وأتى أهله فقالت امرأته -:ما صنعت اليوم ؟قال العابد-:عملت مع أستاذي، وقد وعدني أن يعطيني.ثم غدا إلى السوق فوقف العمال فاستؤجر،وصرف الله عنه الرزق،ولم يستأجره أحد فقال-لأعملن اليوم مع ربي.فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل،ولم يزل راكعا ساجدا حتى إذا أمسى أقبل على أهله فقالت امرأته -: ما صنعت؟قال العابد -:إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجرتي.فخاصمته امرأته وبرزت عليه، ولبث يتقلب ظهر البطن، وبطنا لظهر،وصبيانه يتضاغون جوعا، ثم غدا إلى السوق، فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال -: والله لأعملن اليوم مع ربي:فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل ، ولم يزل راكعا ساجدا حتى إذا أمسى قال -:أين أمضي ؟ و أنا قد تركت العيال يتضاغون جوعا ثم تحامل على جهد منه، حتى إذا قرب من باب داره سمع ضحكا وسرورا،وشم رائحة قديد وشواء، فأخذ على بصره وقال - : أنا نائم أم يقظان ؟ تركت أقواما يتضاغون جوعا، وأشم رائحة قديد وشواء،وأسمع ضحكا وسرورا؟ ثم دنا من باب داره فطرق الباب ، فخرجت امرأة حاسرة ، قد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه، ثم قالت

-:قد جاءنا رسول أستاذك فأتانا بدنانير وكسوة و ودق – الدهن – ودقيق ، وقال: إذا جاء فلان فأقرئه السلام وقولي له :إن أستاذك يقول لك: قد رأيت عملك و قد رضيته ، فإن زدتني في العمل زدتك في الأجر. **ابن الجوزي : المنتظم ١٧٩/١.**

٨- تأجيل الحلافات والمشاكل الزوجية إلى ما بعد شهر رمضان .

بعض الناس حينما يريد أن يتزوج يعتقد أن الحياة الزوجية حياة كلها مثاليات وأحلام وخيالات ، فيريد أن تكون زوجته من الحور العين في جمالها وكمالها .

قال بعض الظرفاء ويسمى أبا عزيزة منشدا :

بعث امرؤ لأبي عزيزة مرة * * * برسالة يبُكي ويُضحك مابها

فيها يقول أريد منك صبية * * *حسناء معروف لديكم أصلها

وأديبة ولطيفة وعفيفة * * *وحليمة ورزينة في عقلها

قد أحرزت في العلم غير شهادة * * *وعلي النسا طراً تفوق بفضلها

وتكون أيضاً ذات مالٍ وافرٍ * * *تُعطيه من بعد الزواج لبعلها

وأريد منها أن تكون مطيعة * * *أمري فتتبعني وتهجر أهلها

فما كان من أبي عزيزة إلا أن أجاب هذا الخاطب العجيب قائلاً:

وافي كتابك سيدي فقرأته* * *وعرفت هاتيك المطالب كلها

لو كنت أقدر أن أري من تشتهي* * *طلقت أم عزيزة وأخذتها

ويحكي أن رجلا وجد الفانوس السحري وبعد أن مسح عليه خرج له الجني وقال له:اطلب ما تريد يا سيدي ؟قال الرجل: أريد ثلاث أمنيات.قال الجني: لا سيدي، أنا لا أستطيع إلا أن ألبي لك إلا واحدة.فكر الرجل قليلا ثم أخرج من جيبه خارطة الشرق الأوسط وأشار على بلدانها وقال للجني:أريد أن يعم السلام هذه المنطقة وهذه البلدان وأن يحب العرب واليهود بعضهم وأن تنشر أمريكا السلام بدلا من الحرب وأن يحب العالم أمريكا وأن يعم السلام العالم كله. نظر الجني إلى الخريطة مليا وقال: يا سيدي، إني منذ مئات السنين عندما دخلت الفانوس وهذه المنطقة مليئة بالحروب، ولا اعتقد أني أستطيع أن ألبي لك هذه الأمنية أنها صعبة جدا،

شعوب تكره بعضها منذ الأزل، لا أستطيع يا سيدي، هل لك أمنية أخرى؟فكر الرجل كثير ثم قال: إني أبحث عن امرأة تعجبني وها هي الفرصة قد سنحت لأجدها، أريد امرأة جميلة لكنها غير مغرورة، أريدها بسيطة ولا تحب المناظر والموضة، أريدها لا تتكلم إلا قليلا وبما هو مفيد، أريدها بشوشة ولا تعرف النكد ولا تعرف النكد والجدال، أريدها أن تحب أمي كما تحب أمها، أريدها أنيقة ولكنها غير مسرفة، أريدها أن تكره الأغاني و المسلسلات، أريدها ...هنا قاطع الجني كلام الرجل بسرعة وقال له بصوت عالي:سيدي دعني أرى الخريطة مرة أخرى.

ويروى أن زوجة صحبت زوجها إلى الطبيب وبعد أن قام بالكشف على الزوج ، طلب الطبيب الزوجة في مكتبه وحيدة وقال لها إذا لم تقومي بإتباع التالي فإن زوجك بالتأكيد سيموت : كل صباح، جهزي له إفطار صحي . كوني لطيفة وتأكدي أنه في مزاج جيد . للغداء، اعملي له وجبة مغذية . للعشاء، أعدي وجبة خاصة لطيفة . لا ترهقيه بالروتين والمشاكل خصوصا إن كان يومه صعب . في الطريق إلى البيت، سأل الزوج زوجته ماذا قال الطبيب لك ؟ أجابت الزوجة : قال بأنك ستموت!! .

سمعت الصحيفة المشهورة بهذه الزيجة الناجحة التي استمرت لمدة ستون عاماً ، و زادت الدهشة عندما صلت تقارير المراسلين تقول أن الجيران أجمعوا على أن الزوجين عاشا حياة مثالية ، و لم تدخل المشاكل أبداً إلى بيت هذين الزوجين السعيدين .هنا أرسلت الصحيفة أكفأ محرريها ليعد تحقيقاً مع الزوجين المثاليين ، و ينشره ليعرف الناس كيف يصنعون حياة زوجية سعيدة .. المهم المحرر قرر أن يقابل كلا الزوجين على انفراد ، ليتسم الحديث بالموضوعية وعدم تأثير الطرف الآخر عليه . وبدأ بالزوج سيدي ، هل صحيح أنك أنت وزوجتك عشتما ستين عاماً في حياة زوجية سعيدة بدون أي منغصات ؟ نعم يا بني و لما يعود الفضل في ذلك ؟ يعود ذلك إلى رحلة شهر العسل فقد كانت الرحلة إلى أحدي البلدان التي تشتهر بجبالها الرائعه ، و في أحد الأيام ، استأجرنا بغلين لنتسلق بهما إحدى

الجبال ، حيث كانت تعجز السيارات عن الوصول لتلك المناطق . وبعد أن قطعنا شوطاً طويلا ، توقف البغل الذي تركبه زوجتي و رفض أن يتحرك ، غضبت زوجتي و قالت : هذه الأولى ثم استطاعت أن تقنع البغل أن يواصل الرحلة . بعد مسافة ، توقف البغل الذي تركبه زوجتي مرة أخرى و رفض أن يتحرك غضبت زوجتي و صاحت قائلةً : هذه الثانية ثم استطاعت أن تجعل البغل أن يواصل الرحلة بعد مسافة أخرى ،وقف البغل الذي تركبه زوجتي و أعلن العصيان كما في المرتين السابقتين ، فنزلت زوجتي من على ظهره ، و قالت بكل هدوء : و هذه الثالثة ثم سحبت مسدساً من حقيبتها ، و أطلقت النار على رأس البغل ،فقتلته في الحال ثارت ثائرتي ، و انطلقت أوبخها ، ماذا فعلت ذلك ؟ كيف سنعود أدراجنا الآن ؟ كيف سندفع ثمن البغل ؟ انتظرت زوجتي حتى توقفت عن الكلام ، ونظرت إليّ بهدوء و قالت : هذه الأولى.

٣-خطايانا في رمضان :

المسلم يحاسب نفسه ويعاتبها على تقصيرها (وابك على خطيئتك) ، ويعرف أن ذلك طريقا لنجاته من عذاب النار وغضب الجبار ، عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النارَ: عينٌ حَرَسَت في سبيلِ اللهِ، وعينٌ بكَت مِن خشيةِ اللهِ، وعينٌ كَفَّت عن مَحارمِ اللهِ". **[رواه الطبراني ورواته ثقات، وقال الألباني: حسن لغيره]**.ووعظ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوما فقال: ((إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله عز وجل، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله والله لوددت أني شجرة تعضد)) **رواه البخاري**.

قال: الحسن البصري: لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم، وقد ورد في الترمذي عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: ((ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام

طالبها)).

والبكاء من خشية الله سمة العارفين قال عبد الله بن عمرو بن العاص : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف درهم.

وقد بين أن من بكى من خشية الله فأن الله يظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فقال ((...ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) بل حرم الله النار على من بكى من خشيته قال : ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع))، وفي رواية قال: ((حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله)) وكلا الحديثين صحيح.

وفي الأثر الإلهي: ((ولم يتعبد إلي المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي)).

في الحديث القدسي: قال الله تعالى: ((وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة)).

وهذا عمر كان في وجهه خطان أسودان من الدموع وكان يأخذ تبنة من الأرض ويقول: (يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئا مذكورا). وهذا أبو عبيدة بن الجراح يقول: (وددت أني شاة فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحتسون مرقي). وهذا عبد الله بن المبارك يقول: (لو أن رجلا وقف على باب المسجد ونادى ليخرج شر الناس لما سبقني إليه إلا رجل أوتي أكثر مني قوة أو سمعا).

وهذا ابن عباس كان أسفل عينيه مثل الشّراك البالي من البكاء.

وهذا أبو عبيدة يقول عن نفسه: وددت أني كنت كبشا فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويشربون مرقي، وهكذا كان حال صحابة رسول الله مع أنهم كانوا مبشرين بالجنة فهذا علي رضي الله عنه يصفهم ويقول: لقد رأيت أصحاب محمد فلم أرَ أحدا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا وقد باتوا سجدا أو قياما، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقعون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب العزي من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب. وهذا

سفيان الثوري رحمه الله يقول: والله لقد خفت من الله خوفا أخاف أن يطير عقلي منه وإني لا أسأل الله في صلاتي أن يخفف من خوفي منه.

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله عن قوله تعالى: والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: ((لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه))، قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية وإن المنافق جمع إساءة وأمنا.
وهذا سفيان الثوري رحمه الله كان يكثر البكاء فقيل له: يا أبا عبد الله بكاؤك هذا خوفا من الذنوب، فأخذ سفيان تبناً وقال: والله للذنوب أهون على الله من هذا ولكن أخاف أن أسلب التوحيد. وهذا أبو هريرة كان يقول في آخر حياته: (اللهم إني أعوذ بك أن أزني أو أعمل كبيرة في الإسلام)، فقال له بعض أصحابه: يا أبا هريرة ومثلك يقول هذا أو يخافه وقد بلغت من السن ما بلغت وانقطعت عنك الشهوات، وقد شافهت النبي وبايعته وأخذت عنه، قال: (ويحك، وما يؤمنني وإبليس حي).

وكان بلال بن سعد يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب، وتبعات الذنوب ومن مرديات الأعمال ومضلات الفتن، قال أبو الدرداء : (مالي لا أرى حلاوة الإيمان تظهر عليكم، والله لو أن دب الغابة وجد طعم الإيمان لظهر عليه حلاوته، ما خاف عبد على إيمانه إلا منحه وما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه) وكان من دعائه : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وطاعة رسولك)، ولما احتضر عمر بن قيس، الملائي بكى فقال له أصحابه: على ما تبكي من الدنيا فوالله لقد كنت غضيض العيش أيام حياتك فقال: والله ما أبكي على الدنيا وإنما أبكي خوفا من أن أحرم الآخرة.
يقول الإمام الغزالي: ولا يسلم من أهوال يوم القيامة إلا من أطال فكره في الدنيا

فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة.

وهذا شداد بن أوس كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم ويقول (الله إن النار أذهبت مني النوم فيقوم يصلي حتى يصبح)، وهذا منصور بن المعتمر كان كثير الخوف والوجل كثير البكاء من خشية الله قال عنه زائدة بن قدامة: إذا رأيته قلت: هذا رجل أصيب بمصيبة ولقد قالت له أمه: ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكى عامة الليل، لا تكاد أن تسكت لعلك يا بنيّ أصبت نفسا، أو قتلت قتيلا؟ فقال: يا أمه أنا أعلم بما صنعت نفسي، وهذا معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة جعل يبكي، فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله وأنت وأنت؟ فقال: ما أبكي جزعاً من الموت أن حل بي ولا دنيا تركتها بعدي، ولكن هما القبضتان، قبضة في النار وقبضة في الجنة فلا أدري في أي القبضتين أنا. يقول الحسن بن عرفه: رأيت يزيد بين هارون بواسط وهو من أحسن الناس عينين، ثم رأيته بعد ذلك بعين واحدة ثم رأيته بعد ذلك وقد ذهبت عيناه فقلت له: يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان، فقال: ذهب بهما بكاء الأسحار.

قال الشاعر:

نوم الحمام على الغصون شجاني * * * ورأى العذول صبابتي فبكاني

إن الحمام ينوم من خوف النوى * * * وأنا أنوم مخافة الرحمن

وهذا علي كما وصفه ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية يقول: كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، ويتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل في محرابه قابضا على لحيته

يضطرب ويتقلب تقلب الملسوع ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه يقول للدنيا: إلي تعرضت، إلي تشوفت، هيهات هيهات غري غيري قد طلقتك ثلاثا فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء وهو يقول: هكذا والله كان أبو الحسن.

يقول عبد الواحد المقدسي: ركبنا البحر فألقتنا السفينة إلى جزيرة فرأينا رجلا يعبد وثنا، قلنا له: ما تعبد؟ فأشار إلى الوثن، قال: وأنتم ما تعبدون؟ قلنا نعبد الله، قال: ومن الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الناس قضاؤه، قال: وما أعلمكم به ؟ قلنا: رسول الله من عند الملك، قال: فأين الرسول ؟ قلنا: مات، قال: فهل ترك من علامة ؟ قلنا: كتاب من عند الملك، قال: ينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا، أئتوني به، فجئناه بالقرآن الكريم فقرأنا عليه فبكى ثم قال: ما يصنع من أراد الدخول في دينكم؟، قلنا: يغتسل ويتوضأ ويقول كلمة التوحيد ويصلي. فاغتسل وقال كلمة التوحيد وصلى فلما جن علينا الليل أخذنا مضاجعنا، قال: أسألكم الإله الذي دللتموني عليه إذا جنه الليل ينام؟، قلنا: لا بل هو حي قيوم لا ينام، قال: بئس العبيد أنتم تنامون وربكم لا ينام)).

يا آمنا مع قبح الفعل منه هل * * * أتاك توقيع أمن أنت تملكه
جمعت شيئين أمنا و اتباع هوى * * *هذا وإحداهما في المرء تهلكه
والمحسنون على درب الخوف قد ساروا * * *و ذلك درب لست تسلكه
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه * * *فكيف عند حصاد الناس تدركه
هذا وأعجب شيء فيك زهدك في * * *دار البقاء بعيش سوف تتركه

فانظروا عباد الله إلى البكائين في الخلوات، قد نزلوا على شواطئ أنهار دموعهم، فلو سرتم عن هواكم خطوات لاحت لكم خيامهم ولسمعتم بكاءهم ونشيجهم، ولسان

حالهم يقول:

نزف البكاءُ دموعَ عينك فَاسْتَعِرْ * عيناً لغيرك دمعُها مدرار**

من ذا يعيرك عينَه تبكي بها* أرأيت عينا للدموع تُعار؟**

كان توبة بن الصمة من المحاسبين لأنفسهم فحسب يوماً، فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب؟ ثم خر مغشياً عليه، فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى . **محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ٨١.**

فمعاتبة النفس والبكاء من خشية الله دليل على حسن الإيمان ، وطريق إلى النجاة وسبيل إلى دخول الجنة والفوز بالرضوان .

(٤)

رمضان شهر مدارسة القرآن

ربط الله تعالى في كتابه الكريم بين صوم رمضان ، والقرآن الكريم ، فقال : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) **[البقرة: ١٨٥]**، وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر: ١].وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) **[الدخان: ٣]**.

وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". **رواه الطبراني في "الكبير" عن واثلة، وأحمد في "مسنده"، وابن عساكر، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).**

فأهل الصيام هم أهل القرآن الذين مدحهم الله تعالى بقوله : " إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور" **سورة فاطر، آية ٢٩،٣٠** .

قال رسول صلى الله عليه وسلم : إن لله آهلين قالوا من هم يا رسول الله قال " أهل القرآن وخاصته". (**رواه ابن ماجه وصححه الألباني**) .

وقال " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده (**رواه مسلم**).

روضوا على منهج القرآن أنفسكم * يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا**

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ

يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُـهُ الطَّعَـامَ وَالـشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ.أخرجه أحمد ١٧٤/٢(٦٦٢٦).

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآنـاء النهـار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " رواه البخاري و مسلم.

عن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط) . (حسن) (صحيح الجامع ٢١٩٩) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يجـيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة . ثم يقول : يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيقال اقـرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة) .(حسن) (صحيح الجامع٨٠٣٠) .

كان النبي صلى الله عليه و سلم يعرض القرآن في رمضان على جبريـل عليـه السلام، فكان يدارسه القرآن.

عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صـلى الله عليـه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيـلُ ، وَكَـانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.أخرجه أحمد ٢٣٠/١(٢٠٤٢) و"البُخَارِي" ٤/١(٦) و٢٢٩/٤(٣٥٥٤) .

قال ابن رجب : " كان السلف يتلون القرآن فـي شـهر رمـضان فـي الـصلاة وغيرها".و كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة فإذا جاء العشر ختم في كـل ليلـة مـرة " (الحلية ٣٣٨/٢و لطائف المعارف ص ١٩١).

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاث"

(لطائف المعارف ص ١٩١).

والشافعي رحمه الله قال عنه ربيع بن سليمان : "كان محمد بن أدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة ، ما منها شيء إلا في صلاة " قال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف ، وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة – رضي الله عنها – تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت .

ولقد كان سلفنا الصالح يتخذون من شهر رمضان فرصة لمدارسة القرآن ومعرفة أخلاقه وأحكامه ، ولم يقتصر الأمر على التلاوة فقط ، كما يفعل كثير من الناس اليوم .

عن مسبح بن سعيد قال : كان محمد بن إسماعيل البخاري ، إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن .

وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند الإفطار كل ليلة ويقول : عند كل الختم ؛ دعوة مستجابة . (تاريخ بغداد ٢ / ١٢ صفة الصفوة ٤/١٧٠).

وعن ذي الرياستين قال : إن المأمون ختم في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمةً ، أما سمعتم في صوته بحوحة؟ إن محمد بن أبي محمد اليزيدي في أذنه صمم ، فكان يرفع صوته ليسمع ، وكان يأخذ عليه . (تاريخ بغداد ١٠ / ١٩٠).

وعن عبد الله بن محمد بن اللبان أنه صلى بالناس صلاة التراويح في جميع الشهر ، وكان إذا فرغ من صلاته بالناس في كل ليلة لا يزال قائماً في المسجد

يصلي حتى يطلع الفجر، فإذا صلى الفجر دارس أصحابه ، وسمعته يقول : لم أضع جنبي للنوم في هذا الشهر ليلاً ولا نهاراً وكان ورده كل ليلة فيما يصلي لنفسه سبعاً من القرآن يقرأه بترتيل وتمهل ولم أرى أجود ولا أحسن قراءة منه . (تاريخ بغداد ١٠ / ١٤٤).

وعن محمد بن زهير بن محمد قال : كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في وقت شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث مرات تسعين ختمة في شهر رمضان (تاريخ بغداد ٨ / ٤٨٥)

وعن أبي علي الطوماوي قال : كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد إلى المسجد لصلاة التراويح ، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش ، فوقف بباب مسجد محمد بن جرير ومحمد يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف. فقلت له: يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا؟ فقال: يا أبا علي دع هذا عنك ، ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة . (تاريخ بغداد ٣ / ١٦٤).

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة ،فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منه ، وفي كل يوم ختمة ، فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة. (تاريخ بغداد ٣ / ٦٣).

وعن أبي بكر بن أبي طاهر قال: كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة. [صفة الصفوة ٣٥٥/٢]

عن أحمد بن خالد قال : قيل لأبي بكر بن عياش : كيف قراءتك بالترتيل؟ فقال : كيف أقدر أرتل ، وأنا أقرأ القرآن في كل يوم وليلة منذ أربعين سنة ! (تاريخ بغداد ١٤ / ٣٨٣)

وعن ابن سعد قال: كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، لم يفطر حتى يختم القرآن وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة. وكان كثيرا إذا أفطر

يرسلني إلى مساكين فيأكلون معه رحمه الله. [صفة الصفوة ٣/١٤٦-١٤٧]
وعن منصور بن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال. [صفة الصفوة ٣/٣٣]
أبو الأشهب قال : كان أبو رجاء يختم بنا في رمضان كل عشرة أيام. [صفة الصفوة ٣/٣٢١].
سلام بن أبي مطيع عن قتادة أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. [صفة الصفوة ٣/٢٥٩]
وينبغي ألا يهجر القرآن طوال وقته؛ لأن الله تعالى ذمّ الذين يجهرونه، قال تعالى: ((وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً))(الفرقان:١٧).
* و من هجران القرآن ألا يكون الإنسان مهتماً به طوال العام إلا قليلاً.
* و من هجرانه كذلك أنه إذا قرأه لم يتدبره، و لم يتعقله.
* و من هجرانه أن القارئ يقرأه لكنه لا يطبقه، و لا يعمل بتعاليمه.
و أما الذين يقرؤون القرآن طوال عامهم، فهم أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته.

منع القرآن بوعده ووعيده *** مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه *** فهماً تذل له الرقاب وتخضع

وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الحنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

طوبى لمن حفظ الكتابَ بصدره ** فبدا وضيئاً كالنجوم تألّقا
الله أكبر ! يا لها من نعمة ** لما يقال " اقرأ ! " فرتل وارتقا
وتمثلَ القرآنَ في أخلاقه ** وفعاله فبه الفؤادُ تعلقا

وتلاه في جنح الدجى متدبِّراً ** والدمعُ من بين الجفون ترَقرَقَا
هذي صفاتُ الحافظين كتابه ** حقاً فكن بصفاتهم متخلِّقَاً
يا حافظ القرآن لست بحافظٍ ** حتى تكون لما حفظتَ مُطبِّقَاً
ماذا يفيدُكَ أن تسمَّى حافظاً ** وكتابُ ربك في الفؤاد تمزَّقَا
يا أمتي القرآنُ حبلُ نجاتنا ** فتمسكي بعراهُ كي لا نغرقا

يقول ابن رجب : (يا من ضيع عمره في غير الطاعة ، يا من فرط في شهره بل في دهره وأضاعه ، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة ؟).

فعلينا في شهر القرآن أن نحسن التعامل مع القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا ، وأن نشجع أولادنا على حفظه وتلاوته ، وأن نجعل من رمضان فرصة لتكريم حفظة القرآن الكريم ، وإعطاء الفرصة للأصوات الندية للقراءة في صلاة القيام والتهجد ، حتى يصعد القرآن للخالق ويدعوا لنا ، فيقول اللهم احفظهم كما حفظوني ، وأكرمهم كما أكرموني ، وشرفهم كما شرفوني ، وشفعني فيهم يوم القيامة .

أَكْرِمْ بقومٍ أَكْرَمُوا القُرآنا *** وَهَبُوا لَهُ الأَرواحَ والأَبْدَانا
قومٌ قد اختارَ الإلهُ قلوبَهُمْ *** لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُدى بُسْتَانا
زُرِعَتْ حُروفُ النورِ بينَ شِفَاهِمِ مْ *** فَتَضَوَّعَتْ مِسْكاً يَفِيضُ بَيَانَا
رَفَعُوا كِتابَ اللهِ فوقَ رُؤُوسِهِمْ *** لِيَكُونَ نُوراً في الظلامِ... فَكَانا
سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأُجورَ لأَهْلِهَا *** وَهَدى القُلُوبَ وَعَلَّمَ الإنسانا
يَا رَبِّ أَكْرِمْ مَنْ يَعيشُ حَيَاتَهُ *** لِكِتَابِكَ الوَضَّاءِ لا يَتَوَانى
واجْعِلْ كِتَابَكَ بَيْنَنَا نُوراً لنا*** أَصْلِحْ بِهِ مَا سَاءَ مِنْ دُنْيَانا

اللهم اجعلنا من أهل القرآن وخاصته ، وتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال .

(٥)

الصوم والإحسان

الإحسان لب الإيمان وروحه وكماله، ومعناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة مَن يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه؛ بالمحافظة على الفرائض والنوافل، واجتناب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

والإحسان نوعان : إحسان إلى النفس وذلك بحملها على طاعة الله تعالى ، والبعد عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن .

والإحسان إلى الخلق ويكون ذلك بالعطف عليهم ، والرحمة بهم .

عنْ مُعَاذٍ ؛أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ : يَا مُعَاذُ ، أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. **(٢٢٣٣٧)أخرجه أحمد ٥/٢٢٨(٢٢٣٣٧).**

قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ * * * فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

من جاد بالمال مال الناس قاطبة * * *إليه والمال للإنسان فتانُ

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة * * *فلن يدوم على الإنسان إمكانُ

ولقد جعل الله إطعام الطعام محل العتق في كفارة الظهار قال تعالى : " ومَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " **[المجادلة : ٤].**

وجعل إطعام المساكين أو كسوتهم محل عتق الرقاب في كفارة الأيمان .

قال تعالى : لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [سورة المائدة :٨٩].

وقد جاء في بعض الإسرائيليات : قال موسى لرب العزة عزَّ وجل : فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك ؟ قال : يا موسى آمر مناديا ينادي على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار.[حلية الأولياء (١٩/٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . [متفق عليه].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟!فقال صلى الله عليه وسلم :] إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته ، أو كسوت عورته ، أو قضيت له حاجة [[رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني (٩٥٤) في صحيح الترغيب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح].

بل اختصَّ الله من يقوم بهذا العمل الصالح بنعيم سابغ في الجنة .

وقال صلى الله عليه وسلم :] إن في الجنة غرفا ، يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها .فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : هي لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام . [رواه الطبراني في الكبير والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٤٦).

قال الله في الحديث القدسي : يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني .قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي . [رواه مسلم].

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة للجود والكرم وبخاصة في شهر رمضان ، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ". "البُخَارِي" ٤/١(٦) و٤٢٩/٤(٣٥٥٤) و"مسلم" ٧٣/٧(٦٠٧٥).

قال ابن حجر أجود الناس : أكثر الناس جوداً والجود الكرم وهو من الصفات المحمودة وقوله أجود بالخير من الريح المرسلة أي المطلقة يعني في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلي دوام هبوبها بالرحمة وإلي عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه (فتح الباري – ٣٠/١).

وفي رواية للإمام أحمد زيادة عن الحديث السابق : "ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ".

تعود بسط الكف حتى لو أنه *** ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته *** فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه *** لجاد بها فليتق الله سائله

وفي صحيح الترمذي ٣٠٩/١ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "ينادي فيه مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

وقال ابن رجب الحنبلي : وكان جودُه أي صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم (لطائف المعارف ص ٣٠٦).

وفي الحديث "من فَطَر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً " (صحيح الترمذي ٣٤٣/١ للألباني وابن ماجه ١٧٤٦).

ما أنت إلا رحمة علوية *** خص الإله بها الورى وترفقا

رمضان يا عرش الهداية مرحبا * يا نبع خير في الوجود تدفقا**

ولقد كان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبادات، سواءٌ كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخٍ صالح؛ فلا يشترط في المطعم الفقر. فلقد قال رسول الله ﷺ: "أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم" [الترمذي بسند حسن].
فكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك.

قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

عن أبي بردة قال لما حضر أبا موسى الوفاة قال يا بني اذكروا صاحب الرغيف قال كان رجل يتعبد في صومعة أراه قال سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد قال فشبه أو شب الشيطان في عينه امرأة فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال قال ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبا فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فآواه الليل إلى دكان كان عليه اثني عشر مسكينا فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم وكان ثم راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفا فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفا ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائبا فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفا فقال المتروك لصاحب الرغيف مالك لم تعطني رغيفي ما كان بك عنه غنى فقال أتراني أمسكته عنك سل هل أعطيت أحدا منكم رغيفين قالوا لا قال تراني أمسكته عنك والله لا أعطيك الليلة شيئا فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك فأصبح التائب ميتا قال فوزنت السبعون سنة

بالسبع الليالي فرجحت السبع الليالي ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف فرجح الرغيف فقال أبو موسى يا بني اذكروا صاحب الرغيف . **ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ٨ /١٠٧. وأبو نعيم في : حلية الأولياء ٣٦٣/١ .**

يقول الشاعر مصطفى حمام:

حدِّثونا عن راحة القيد فيه * * * حدثونا عن نعمة الحرمان

هو للناس قاهر دون قهر * * * وهو سلطانهم بلا سلطان

قال جوعوا نهاركم فأطاعوا * * * خشعا، يلهجون بالشكران

إن أيامك الثلاثين تمضي * * * كلذيذ الأحلام للوسنان

كلما سرني قدومك أشجا * * * ني نذير الفراق والهجران

وستأتي بعد النوى ثم تأتي * * * يا ترى هل لنا لقاء ثان؟

اللهم اجعلنا من أهل القرآن وخاصته ، وتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال .

(٦)

الصوم وحفظ الجوارح

للصوم فوائد روحية ونفسية كثيرة منها أنه سبب لزرع تقوى الله في القلوب وكف الجوارح عن المحرمات، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة ١٨٣].

والصوم مدرسة نتعلم فيها الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وقوة الإرادة وجهاد النفس والامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية، ونتدرب على السلوك الحسن الذي يبعث على التقوى والإخلاص امتثالا لأمر الله وتقربا إليه، وفي الصوم يتعلم المسلم تهذيب النفس وحفظ الجوارح وتزكية الأخلاق، وتحلية القلب بالشفقة والرحمة، حيث يشعر الصائم في آخر النهار بألم الجوع ولهيب العطش، فيذكره ذلك بمعاناة الفقراء والمحرومين، ويدعوه للشفقة بهم ورحمتهم، وفي الصوم يكبح المرء جماح النفس عن أن تسترسل في الشهوات والملذات، حيث إن الصوم يقلل الشهوة ويضعفها، ويكسر حدتها، فينبغي للعبد أن يبالغ في حفظ جوارحه وحواسه حتى لا يقع في الشر والفساد والإثم والمنكر، ففي هذا الشهر' ينادي مناد من قبل الحق تبارك وتعالى فيقول: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر'.

فلابد في الصوم من كف اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والهذيان، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، وكف البصر عن النظر، إلى كل ما نهى الله عنه، وكف بقية الجوارح عن ارتكاب المحرمات، وهذه غاية الصوم' لعلكم تتقون' فالصائم يراقب الله في جميع أعماله، فتتمثل عظمة الله في قلبه، فيحجم عن فعل القبيح، وترتدع نفسه عن إتيان الشهوات، وأهون الصوم ترك الطعام والشراب ،فالصيام يحفظ على المسلم جوارحه ومن حفظ الجوارح :

١- كف اللسان عن الأذى.

اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة؛ فإنه صغير جِرْمُــه، عظــيم طاعته وجُرْمُه! إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان ، فمَن أطلق عَذَبَةَ اللسان وأهمله مَرخِيّ العَنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جُرُف هار؛ إلى أنْ يضطره إلى البوار.

قال تعالى : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد) [ق: ١٨] ،وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: "الفم و الفرج" **[قال الترمذي: حديث حسن صحيح]**.

وسأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فأخبره النبي ﷺ برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال: "ألا أخبرك بِملاكِ ذلك كلِّه؟" قال: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "كُفَّ عليكَ هذا". فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا معاذ؛ وهل يَكُبُّ الناسَ على وجوهِهِم –أو على مَناخِرِهِم– إلا حصائدُ ألسنتِهم". **[قال الترمذي: حديث حسن صحيح]**.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: إذا أصبح ابنُ آدمَ فإنَّ أعضاءَه تُكَفِّرُ اللسانَ؛ تقول: اتق اللهَ فينا؛ فإنكَ إنِ استقمتَ استقمنا، وإنِ اعوججتَ اعوججنا.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُــهُ، ولا يدخلُ الجنــةَ حتى يأمنَ جارُهُ بَوائقَهُ". **[رواه أحمد، وابن أبي الدنيا في "الصمت"، وحسنه الألباني]**

يقول ابن القيم: يقول الشيطان لأبنائه: قوموا على ثغر اللسان؛ فإنه الثغر الأعظم، وهو قبالة الملك؛ فأجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه، وامنعوه أن يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله تعالى، واستغفاره، وتلاوة كتابه، ونصيحة عباده، والتكلم بالعلم النافع، ويكون لكم في هذا الثغر أمران عظيمان، لا تبالوا بأيهما ظفرتم:

أحدهما: التكلم بالباطل؛ فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم ومن أكبر جندكم وأعوانكم.

والثاني: السكوت عن الحق؛ فإن الساكت عن الحق أخ لك أخرس ، كما أن الأول أخ ناطق، وربما كان الأخ الثاني أنفع أخويكم لكم، أما سمعتم قول الناصح: "المتكلم بالباطل شيطان ناطق، والساكت عن الحق شيطان أخرس"؟! وفى اللسان آفتان عظيمتان؛ إنْ خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت. وقد يكون كل منهما أعظم إثما مِن الأخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، مراءٍ مداهن؛ إذا لم يخف علي نفسه.. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاصٍ لله.. وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين. وأهل الوسط –وهم أهل الصراط المستقيم– كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه، ضائعة بلا منفعة؛ فضلا أنْ تضره في آخرته.. وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال؛ فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال؛ فيجد لسانه قد هدمها مِن كثرة ذكر الله عز وجل، وما اتصل به.]

[الجواب الكافي (ملخصًا)].

ولما كانت آفات اللسان كثيرة، ولها في القلب حلاوة، ولها بواعث من الطبع؛ فلا نجاة من خطرها إلا بالصمت، سأل عقبة بن عامر رسول الله ﷺ: ما النجاة؟ قال: "أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليَسَعْكَ بيتُكَ، وابكِ على خطيئتِكَ" [رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي، وقال الألباني: صحيح لغيره]

قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: ما صلح منطق رجل إلا عُرف ذلك في سائر عمله.

قال سفيان الثوري: أول العبادة الصمت، ثم طلب العلم، ثم العمل به، ثم حفظه، ثم نشره.

قال علي بن بكار: جعل الله تعالى لكل شيء بابين، وجعل للسان أربعة أبواب: فالشفتان مصراعان، والأسنان مصراعان.

قال وهب بن منبه: في حكمة آل داود: حق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقبلاً على شأنه.

قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا، قال: أجلس مع الصحابة والتابعين وأنظر في كتبهم وآثارهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

ويروى عنه رحمه الله أنه قال:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله * * * إذا كنت فارغا مستريحا

وإذا ما هممت بالنطق بالباطل * * * فاجعل مكانه تسبيحا

فاغتنام السكوت أفضل من خوض * * * وإن كنت بالكلام فصيحا

عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: يا أحنف! مَن كثر كلامه كثر سَقطه، ومَن كثر سقطه قَلَّ حياؤه، ومَن قلّ حياؤه قل ورعه، ومَن قلّ ورعه مات قلبه.

قال عطاء: فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن، والقول بالسنة عند الحاجة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تنطق في أمر لا بدَّ لك منه في معيشتك، أما يستحيي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟! ثم تلا: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ) [الانفطار:١٠-١١] و(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد) [ق:١٧-١٨]

قال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك؛ فإنما جُعل لك أذنان وفم واحد؛ لتسمع أكثر مما تتكلم.

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان * * * لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * * * كانت تهاب لقائه الشجعان

وقال ثالث :

الصمت زين والسكوت سلامة * * * فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

فإذا ندمت على سكوتك مرة * * * فلتندمن على الكلام مرارا

قال ابن مسعود: والله الذي لا إله غيره؛ ما شيء أحق بطول سجْن من لسان.

ذكر الإمام مالك في "الموطأ" عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ﷺ دخل على أبي بكر الصديق ﷺ وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه! غفر الله لك! فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد!! .

قيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك تطيل الصمت! فقال:إن لساني سبعٌ، إن تركته أكلني.

٢- غض البصر عن المحرمات .

جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غَضَّ العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.. ويتبين الأمر بضرب مثل مطابق للحال، وهو أنك إذا ركبتَ فرسًا جديدًا فمالت بك إلى درب ضيق لا يُنفِذ، ولا يمكنها تستدير فيه للخروج، فإذا هَمَّتْ بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فَصِحْ بها، ورُدَّها إلى وراء عاجلاً قبل أنْ يتمكن دخولها؛ فإنْ رددتَها إلى ورائها سَهُل الأمر، وإنْ توانيتَ حتى وَلَجَتْ، وسُقْتَها داخلاً، ثم قمتَ تجذبها بِذَنَبِها عَسُرَ عليك، أو تَعَذَّرَ خُروجُها..! فهل يقول عاقل: إنَّ طريق تخليصها سوقها إلى داخل؟! .

فكذلك النظرة إذا أثَّرَتْ في القلب.. فإنْ عَجَّل الحازمُ، وحَسَمَ المادةَ مِن أوَّلِها سَهُل علاجه، وإنْ كرَّرَ النظر، ونَقَّبَ عن محاسن الصورة، ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه؛ تمكنت المحبة.. وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة؛ فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب، ويُعرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به؛ فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويُلقِي القلب في التلف.. والسبب في هذا أنّ الناظر التذَّتْ عينُه بأول نظرة؛ فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة.. ولو أنه غَضَّ أولاً لاستراح قلبه وسلم.

وتأمل قول النبي ﷺ: "النظرةُ سهمٌ مسمومٌ مِن سهامِ إبليسَ" فإنَّ السهم شأنه أن

يسري في القلب؛ فيعمل فيه عمل السم الذي يُسقاه المسموم، فإنْ بادر استفرغه؛ وإلا قتله ولا بد..! .

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإنْ لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمَى في الحشيش اليابس؛ فإنْ لم تحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كلُّ الحوادثِ مَبدأُها مِنَ النظرِ * * * ومُعظَمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشَّرَرِ
كم نظرةٍ فَتَكَتْ في قلبِ صاحبِها * * * فَتْكَ السهامِ بلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ
والمرءُ ما دامَ ذا عَيْنٍ يُقَلِّبُها * * * في أَعْيُنِ الغِيدِ مَوقوفٌ على الخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ هُ جَنَتَهُ * * * لا مَرحبًا بسرورٍ عادَ بالضَّررِ

عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النارَ: عينٌ حرَسَت في سبيلِ اللهِ، وعينٌ بَكَت مِن خشيةِ اللهِ، وعينٌ كَفَّت عن مَحارمِ اللهِ". [رواه الطبراني ورواته ثقات، وقال الألباني: حسن لغيره]

وفي غض البصر عدة منافع؛ منها:

– أنه يورث القلب أنسًا بالله؛ فإن إطلاق البصر يفرق القلب، ويشتته، ويبعده من الله، ويورث الوحشة بين العبد وربه.

يقول أطباء القلوب: بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد، وصار محلاً للقاذورات؛ فلا يصلح لسكن معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والأنس والسرور بقربه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

– أنه يُلبِس القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُلبسه ظُلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية النور عقيب الأمر بغض البصر، قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) [النور: ٣٠]، ثم قال تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاح) [النور: ٣٥] أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن؛ الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه.

– أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، و الصادق والكاذب. كان "شجاع الكرماني" يقول: مَن عمَّر ظاهره باتباع السنه، وباطنه بدوام المراقبة،

وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال؛ لم تخطئ لـــه فراسة. وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة.

ومَن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فإذا غض العبد بصره عن محارم الله عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصـــره لله، ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة.

– أنه يفرغ القلب للتفكر في مصالحه والاشتغال بها. وإطلاق البصر ينسيه ذلك، ويحول بينه وبينه؛ فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع هواه، وفي الغفلة عن ذكر ربه.

سئل أحد المعاصرين لـــ"عتبة الغلام : أتعرف أحدًا يمشي في الطريق مشتغلاً بنفسه؟ قال: ما أعرف إلا رجلاً؛ الساعة يدخل عليكم. فلما دخل عتبة؛ وطريقه على السوق، قال: يا عتبة! مَن تَلَقَّـــاك في الطريق؟ قال: ما قابلتُ أحدًا..!.

وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره وإطراقه؛ يظن بعض الناس أنه أعمى! .

وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود ﷺ عشرين سنة، فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى قد جاء! فكان ابن مسعود ﷺ يضحك من قولها. وكان ابن مسعود ﷺ إذا نظر إليه يقول: وبشِّر المخبتين.. أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك.

٣- تنزيه السمع عن اللغو.

قال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:٣٦] .

إنْ كانت حواس الإنسان كثيرة فإن أهمها: السمع والبصر، وقد وردت في القرآن بهذا الترتيب، السمع أولاً، ثم البصر لأن السمع يسبق البصر، فالإنسان بمجرد أنْ يُولَد تعمل عنده حاسة السمع، أما البصر فإنه يتخلف عن السمع لعدة أيام من الولادة، إذن: فهو أسبق في أداء مهمته، هذه واحدة.

الأخرى: أن السمع هو الحاسَّة الوحيدة التي تُؤدي مهمتها حتى حال النوم، وفي

هذا حكمة بالغة للخالق سبحانه، فبالسمع يتم الاستدعاء من النوم.

وقد أعطانا الخالق سبحانه صورة واضحة لهذه المسألة في قصة أهل الكهف، فلما أراد سبحانه أن يناموا هذه السنين الطوال ضرب على آذانهم وعطل حاسة السمع لديهم، وإلا لَمَا تمكَّنوا من النوم الطويل، ولأزعجتهم الأصوات من خارج الكهف. فقال تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً) [الكهف:١١].

ولم يسبق البصر السمع إلا في آية واحدة في كتاب الله تعالى وهي: (رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا..) [السجدة:١٢]، والحديث هنا ليس عن الدنيا، بل عن الآخرة، حيث يفزع الناس من هَوْلها فيقولون: (رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحا) [السجدة:١٢] لأنهم في الآخرة أبصروا قبل أن يسمعوا.

فالسمع أول الحواس، وهو أهمها في إدراك المعلومات، حتى الذي يأخذ معلوماته بالقراءة سمع قبل أن يقرأ، فتعلَّم أولاً بالسماع ألف باء، فالسمع أولاً في التعلُّم، ثم يأتي دَوْر البصر.

والذي يتتبع الآيات التي ورد فيها السمع والبصر سيجدها جاءت بإفراد السمع وجمع البصر، مثل قوله سبحانه: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ) [السجدة:٩]، إلا في هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها جاءت: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـائِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) [الإسراء:٣٦].

وحفظ الأذن يتحقق بتنزيه السمع عن الغيبة والنميمة، والفُحش، وقول الزور، واللهو، والغناء المحرم، ومزامير الشيطان، وكل ما هو باطل.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن؛ فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها يُنبت النفاق في القلب كما يَنبت العشب على الماء.] [إغاثة اللهفان] .

وليحذر الذين يأخذون بالرُّخَص في جُلِّ شئونهم؛ قال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم، أو زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما منكم مِن أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو

أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم! ما غَرَّك بي؟ يا ابن آدم! ما عملتَ فيما علمتَ؟ يا ابن آدم! ماذا أجبتَ المرسلين؟ يا ابن آدم! ألم أكن رقيبًا على عينك؛ وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا حتى عَدَّ سائر أعضائه.

٤-كف اليدين والرجلين عن الحرام.

الصائم كما يكف لسانه وعينه وأذنه وقلبه عن الحرام فإنه كذلك يكف يده ورجله عن الحرام ، فلا تمتد يده بأذى الناس ولا بأكل أموالهم بالباطل ، ولا يمشي بقدميه إلى ما يغضب الله ، قالت عائشة رضي الله عنها : ما ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نِيلَ منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل . **رواه مسلم.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، قَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَيَامٍ وَصَلاَةٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

– وفي رواية : تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، قَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. **خرجه أحمد ٢/٣٠٣(٨٠١٦) و"مسلم" ٦٦٧١ و"الترمذي" ٢٤١٨.**

أصابت عُروة الأكِلةُ في رجله، وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك فقُطعت رجله

والوليد حاضر فلم يتحرَّك، ولم يشعر الوليد أنها تُقطع حتى كُوِيَتْ، فوجدوا رائحة الكيِّ، وبقي بعد ذلك ثماني سنين. ولما قُطعت رجله ووُضعت بين يديه قال: الحمد لله الذي أخذ مني واحدة، وأبقى لي ثلاثا، يعني رجله الأخرى ويديه. ولم يدع وِردَهُ تلك الليلة. وقال أيضا:

مَعْن بن أَوْس المُزَنِيّ

لَعَمْرُكَ ما أَهْوَيْتُ كَفِّي لرِيبَةٍ ... ولا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فاحِشَةٍ رِجْلِي

وأَعْلَمُ أَنِّي لم تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... مِن الدَّهْرِ إلاّ قد أَصابَتْ فَتىً قَبْلِي

ولا قادَنِي سَمْعِي ولا بَصَرِي لَـ ... ـهُ ولا دَلَّنِي رَأْيٌ عَلَيْـ ... ـهِ ولا عَقْلِي

ولا مُؤْثِراً نَفْسِي على ذِي قَرابَةٍ ... وأُثِرُ ضَيْفِي، ما أَقامَ، على أَهْلِي

دخل واحد من السلف أحد المزارع و كان جائعا متعبا فشدته نفسه، لأن يأكل و بدأت المعدة تقرقر، فأطلق عينيه في الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكله من هذه التفاحة فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عن ما يريد، قال صاحبنا "دخلت بستانك الذي بجوار النهر و أخذت هذه التفاحة و أكلت نصفها ثم تذكرت انها ليست لي و أريد منك أن تعذرني في أكلها و أن تسامحني عن هذا الخطأ فقال الرجل : لا أسامحك ، و لا أسمح لك أبدا إلا بشرط واحد ، قال صاحبنا " وهو ثابت بن النعمان": و ما هو هذا الشرط؟ قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي....قال ثابت:أتزوجها، قال الرجل:ولكن انتبه إن ابنتي عمياء لا تبصر ، خرساء لا تتكلم ، صماء لا تسمع ، و بدأ ثابت بن النعمان يفكر يقدر -أنعم بها من ورطة – ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة و شأنها و تربيتها و خدمتها خير من أن يأكل الصديد في جهنم جزاء ما أكله من التفاحة و ما الأيام و ما الدنيا إلا أياما معدودات، فقبل الزواج على مضض و هو يحتسب الأجر و الثواب من الله رب العالمين.

و جاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا

تبصر ولا تسمع فاضطرب حاله و تمنى لو ابتلعته الأرض قبل هذه الحادثة و لكنه توكل على الله و قال((لا حول ولا قوة إلا بالله و إنا لله و إن إليه راجعون)) ودخل عليها يوم الزفاف فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول السلام علـيكم ورحمـة الله و بركاته فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة. قال بعد صـمت: ماذا؟ إنها تتكلم تسمع و تبصر فأخبرها بما قاله أبوها عنها قالت: ((صدق أبـي و لم يكذب)). قال:اصدقني الخبر قالت: أبي قال عني: إنني خرساء؛ لأني لم أتكلـم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي، و إني صماء؛ لأنـي ماجلـست فـي مجلس فيه غيبة و نميمة ولغو,و إني عمياء؛ لأني لم أنظر إلى رجل لا يحل لـي. فانظر و اعتبر بحال هذا الرجل التقى و هذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

٥- تصفية القلب من الذنوب.

ويجب علينا جميعًا أن نعلم أن أهم هذه الأعضاء التي يجب أن نبدأ بها ونـصلحها هو القلب، كما قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم) :-ألا وإن في الجسد مـضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب هذا الارتباط العجيب بين القلب وبين الأعضاء قال فيه أبو هريرة رضي الله عنه، وجاء -أيضًا- عن غيره من السلف أنه قال :القلب ملك والأعضاء جنوده.

فقال شَيْخُ الإِسْلامِ ابن تيمية رحمه الله: «إن قول رسـول الله -صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ- كما في الحديث المتقدم أبلغ وأبين من قول أبي هريرة -رضي الله عنـه- ومن قال هذه العبارة، لأن الارتباط بين الأعضاء والقلب ارتباط عضوي لا يمكن أن يختلف ولا يمكن أن ينفصل، أما الارتباط في الصلاح والفساد بين الملك وجنـوده، فهذا قد يقع فيه الاختلاف، فربما صلح الملك وفسد الجنود، وربمـا فـسد الملـك وصلح الجنود، وربما فسد الملك وصلح بعض الجنود وفسد بعضهم.

وقد جاء في دعاء إمام الموحدين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ﴿وَلا تُخْزِنِي

يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴿87﴾ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴿88﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)
]الشعراء:٨٧-٨٩ فسلامة القلب هي دليل ومعيار النجاة من عذاب الله تبارك وتعالى، ومن الخزي يوم القيامة وشدته، وعبوسه، وكرباته، كل هذا يكون بسلامة القلب، وسلامة القلب تكون بأمرين لا يجوز أن نغفل عنهما، بل يجب أن نعلمهما:

أما الأول: سلامته من الشبهة، وأعظم ما ينبغي في ذلك أن يسلم القلب من الشرك بالله تبارك وتعالى، وألا يكون في قلب العبد المؤمن شيئًا من الشرك لغير الله -عز وجل- سواء كان ذلك بالتقرب، أو بالتأله في الدعاء، أو التوكل، أو الخشوع، أو الخوف، أو الرجاء، وفي أصول هذه الأعمال التي هي أساس أعمال القلب، فليحذر العبد أن يكون مشركًا مع الله -تبارك وتعالى- بشيء من هذه الأعمال والتعبدات.

وعن دور الصوم في إصلاح النفوس يقول الإمام ابن القيم :للصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة وحميتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : "يا أيها الذي آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون]" البقرة ١٨٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ": الصوم جنة . وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام ، وجعله وجاء هذه الشهوة . والمقصود : أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة ، شرعه الله لعباده رحمة بهم وإحسانا إليهم وحمية لهم وجنة). **زاد المعاد من هدى خير العباد ٣٠/٢ .**

قال عبدالله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ * * * وقد يُورِثُ الذُّلَّ إدمانُها

وتَركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ * * * وخيرٌ لنفسِكَ عِصيانُها

ويقول الصابي في الذي يصوم عن الطعام فقط ويدعو إلى التخلي عن العيوب

والآثام:

يا ذا الذي صام عن الطعام* * * لينك صمت عن الظلم

هل ينفع الصوم امرؤ طالما * * * أحشاؤه ملأى من الاثم؟

ويؤكد أحمد شوقي ذات المعنى فيقول:

يا مديم الصوم في الشهر الكريم * * * صم عن الغيبة يوما والنميم

ويقول أيضا :

وصلِّ صلاة من يرجو ويخشى * * * وقبل الصوم صم عن كل فحشا

- فمن صام عن الطعام والشراب فصومه عادة.
- ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة.
- ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فإنه صائم رضا.
- ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى.
- ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم وصي.
- ومن صام عن المنكر والأغيار وأفطر على الفكرة والاعتذار فهو صائم سعيد.
- ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم.
- ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم.
- ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر تكثير آماله فهو صائم مشاهد.
- ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد.

قال ابن القيم: الصوم لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار المقربين لرب العالمين.

ولله در القائل :

إذا لم يكنْ في السمعِ مِنّي تَصَوُّنٌ * وفي بصري غَضٌ، وفي منطقي صَمْتُ**

فحَظّي إذًا مِن صومِي الجوعُ والظمأ * وإن قُلتُ: إني صُمْتُ يومًا فما صُمْتُ**

فلابد في الصوم من كف اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والهذيان، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، وكف البصر عن النظر، إلى كل ما نهى الله عنه، وكف بقية الجوارح عن ارتكاب المحرمات، وهذه غاية الصوم' لعلكم تتقون' فالصائم يراقب الله في جميع أعماله، فتتمثل عظمة الله في قلبه، فيحجم عن فعل القبيح، وترتدع نفسه عن إتيان الشهوات، وأهون الصوم ترك الطعام والشراب، والله عندما فرض علينا الصوم لم يرد منا حرمان النفس وتجويعها، وإنما أراد أن تظهر علينا ملكة التقوى والمراقبة والخشية له جل شأنه، لتحجز الصائم عن فعل القبيح والمنكر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ.

ــ وفي رواية : إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ. أخرجه مالك "الموطأ" ٣٠٦ . و"أحمد" ٢٤٥/٢(٧٣٣٦) و"البُخاري" ١٨٩٤ و"مسلم" ١٥٧/٣.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، وَالْجَهْلَ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

ــ وفي رواية : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. أخرجه أحمد ٤٥٢/٢(٩٨٣٨) و"أبو داود" ٢٣٦٢ و"ابن ماجة" ١٦٨٩ و"التِّرمِذي" ٧٠٧ و"النَّسائي" في "الكبرى" ٣٢٣٣.

عَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ

اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ : فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : قِيئِي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. – أخرجه أحمد ٤٣١/٥(٢٤٠٥٣).

فعلى الصائم أن يحفظ جوارحه عن كل ما حرم الله تعالى ، فيحفظ لسانه عن جميع المعايب ؛ من سب وشتم وقذف وغيبة ونميمة ولغو ، ويصون عينيه عن النظر إلى ما حرم الله ، وأذنيه عن سماع اللغو والباطل ، ويده ورجليه عن الحرام ، وقلبه عن الغل والحقد والحسد .

(٧)

الصوم والمحافظة على الوقت

الأيام تمضي سريعا وهي لا تعود، وكل يوم يمر على المسلم هو خلق جديد، وعلى عمله شهيد ، وإذا مضى فلن يرجع ويعود.

ولقد حرص علماؤنا الأجلاء على أعمارهم وأوقاتهم ، لأنهم أيقنوا أنهم سوف يسألون ويحاسبون عليها يوم القيامة . قال تعالى : " قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)**سورة المؤمنون** .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ. **أخرجه الترمذي (٦١٢/٤ ، رقم ٢٤١٧) وقال : حسن صحيح . وأبو يعلى (٤٢٨/١٣ ، رقم ٧٤٣٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٢/١٠) ، الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٧٣٠٠ في صحيح الجامع.**

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما ندمت علي شئ ندمي علي يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي .

وقال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز :إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقال الحسن البصري : يا ابن آدم ،إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك .

وقال أيضاً أدركت أقواماً كانوا علي أوقاتهم أشد منكم حرصاً علي دراهمكم

ودنانيركم ٠

نقل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد : أن رجلاً قال : كلمني ، فقال له عامر بن عبد قيس : أمسك الشمس ٠

وقال يونس المؤدب :مات حماد بن سلمه وهو في الصلاة رحمه الله تعالي عليه "كان الخليل بن أحمد ــ الفراهيدي البصري، أحد أذكياء العالم ، المولود سنه ١٠٠ ، والمتوقي سنه ١٧٠ رحمه الله تعالي ــ يقول : أثقل الساعات علي : ساعة آكل فيها"وقال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح ثم المصري : مرض أبو يوسف ، فأتيته أعوده ، فوجدته مغمي عليه ،فلما آفاق قال لي : يا إبراهيم ،ما تقول في مسألة ؟ قلت : في مثل هذه الحالة؟! قال ولا بأس بذلك ، ندرس لعله ينجو به ناج ؟قلت أيهما أفضل في رمي الجمرات أي في مناسك الحج أن يرميها ماشياً أم راكباً ؟ قلت : راكباً ، قال : أخطأت ، قلت :ماشياً ،قال أخطأت ، قلت : قل فيها ، يرضي الله عنك .قال : أما ماكان يوقف عنده للدعاء ،فالأفضل أن يرميه ماشياً ،وما ماكان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً . ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه ، وإذا هوا قد مات ، رحمه الله عليه .

كانت لمحمد بن سحنون سريه ــ أي جاريه مملوكه ــ يقال لها أم مدام ،فكان عندها يوماً ، وقد شغل في تأليف كتاب إلي الليل ،فحضر الطعام ، فاستأذنته فقال لها : أنا مشغول الساعة .فلما طال عليها ــ الانتظار ــ جعلت تلقمه الطعام حتى أتي عليه ، وتمادي هو علي ماهو فيه ، إلي أن أذن لصلاه الصبح ، فقال شغلنا عنك الليلة يا أم مدام !هات ما عندك ، فقالت : قد ــ والله يا سيدي ــ ألقمته لك ،فقال : ما شعرت بذلك ".

قال ابن مسعود رضي الله عنه:إني لأكره الرجل أراه فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة.

– قال إبراهيم بن شيبان : من حفظ على نفسه أوقاته فلا يضيعها بما لا يرضي الله فيه حفظ الله عليه دينه ودنياه.

وصدق الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له *** إن الحياة دقائق وثوان

ٍ فارفع لنفسك من حياتك ذكرها *** فالذكر للإنسان عمر ثانٍ

فليسأل المسلم نفسه في كل يوم وفي بداية شهر رمضان في كل عام ماذا عمل لله تبارك وتعالى من أعمال ، وبماذا استغل أوقاته فكم يقصر المسلم في جنب الله تعالى، وكم يفرط ولكنه يستمر في غيه ومعصيته لله تعالى وهذا لا شك أنه من قسوة القلوب.

وقد وصف الله تعالى المفرطين واللاهين في الدنيا يوم القيامة بقوله تعالى : {قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم} (سورة المؤمنون ١١٢-١١٦).

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " (رواه البخاري ٢٢٩/١١).

قال ابن حجر في الفتح ٢٢٩/١١: ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه فمن فرط في ذلك فهو المغبون . قال أحد الصالحين : "العمر قصير فلا تقصره بالغفلة " . فلذلك العجب كل العجب أن نسمع من البعض أنهم يعيشون في فراغ قاتل ولا يعرفون أين يذهبون وماذا يفعلون.

أخي الصائم احرص على ما تبقي من أيام شهر رمضان المبارك واجتهد فيه بالأعمال الصالحة ، والحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد واحرص على أداء النوافل ، والصدقات وبذل المعروف والإحسان ، واجعل لك وردا يومياً وليكن جزءاً أو جزأين من كتاب الله تعالى ، فهو خير معين على استثمار وقتك

وفي تلاوته الأجر العظيم وكان السلف يختمون القرآن عدة مرات.
واحرص على قراءة كتب أهل العلم النافعة لتزيد من علمك وتفقهك في دين الله تعالى خصوصاً كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها.
وكذلك احرص على ذكر الله تعالى وتسبيحه وتحميده ، كما قال تعالى : {والذاكرين الله كثيرا والذاكرات } (الأحزاب: ٣٥).

الدقيقة من الزمن يمكن أن يُفعل فيها خيراً كثير ، دقيقة واحدة يمكن أن تزيد في عمرك ، في عطائك ، في فهمك وفي حفظك وأيضاً في حسناتك ، دقيقة واحدة تكتب في صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها وتحافظ عليها وفي مايلي مشاريع أستثمارية تستطيع إنجازها في دقيقة واحدة بإذن الله في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة ٧ مرات سرداً وسراً ، وحسب بعضهم حسنات القراءة فإذا هي أكثر من ١٤٠٠ حسنة وكل هذا في دقيقة واحدة الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع قراءة سورة الإخلاص ٢٠ مرة سرداً وسراً وقرأتها مرة واحدة تعادل ثلث القرآن . فإذا قرأتها ٢٠ مرة فإنها تعادل كل القرآن ٧ مرات الله أكبر< في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ٢٠ مرة آجرها كعتق ٨ رقاب في سبيل الله من ولد إسماعيل الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده ١٠٠ مرة ومن قال ذلك في يوم غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ٥٠ مرة وهما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول : سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر ١٨ مرة وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله وخيرُ ما طلعت عليه الشمس الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من ٤٠ مرة كنز من كنوز الجنة الله أكبر< في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول : لا أله إلا الله ٥٠ مرة وهي أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد الله أكبر

<في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ٥٠ مرة بصيغة صلى الله عليه وسلم فيصلى الله عليه مقابلها 500 مرة لأن الصلاة الواحدة بعشر أمثالها الله أكبر في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تصل رحمك عبر الهاتف< في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقدم نصيحة لأخوانك< في الدقيقة الواحدة تستطيع تصافح عدد من الأشخاص< تستطيع أن تشفع شفاعة حسنه< في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقرأ أكثر من صفحتين في كتاب مفيد يسير الفهم.

لا تَجْعلنْ رمضان شهرَ فكاهةٍ ... يلهيك فيه من القبيم فنونُه

واعلم بأنّك لا تنالُ قبولَه ... حتَّى تكونَ تصومه وتصونُه

ولا شك أن رمضان مدرسة لتنظيم وقت المسلم واستثماره في طاعة الله عز وجل فليحرص كل مسلم على هذه الأوقات وإلا يضيعها في النوم والسهر أو اللعب.

فهل يعي المسلمون اليوم قيمة الوقت ؟ ويعرفون أن الوقت هو الحياة .

(٨)

الصوم ويسر التشريع الإسلامي

الإسلام هو الدين الذي اختاره الله تعالى لعباده ، يقول الله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } سورة آل عمران ، الآية : ١٩. ويقول أيضًا: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } **سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .**

ولقد جاءت رسالة الإسلام عامة للإنس والجن ، والأبيض والأسود ، والعرب والعجم ، وهي الرسالة التي حملت مضمونين جديدين ، هما الرحمة والعالمية ، لقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } **سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .**

إن هذا الدين العالمي الذي يخاطب الناس كافة ، بجميع أعراقهم وأطيافهم ، في كل أرجاء الأرض ، لا بد أن يتميز بصفات وخصائص تتناسب مع أحوال الناس وظروفهم في البلاد المتفرقة من العالم ، فجاء يحمل في أحكامه وتشريعاته التيسير والسعة ، فلا تخلو فريضة من الفرائض ولا شعيرة من الشعائر إلا وقد أضفى عليها الله – تعالى – من اليسر ما يجعل الإنسان قادرًا على تطبيقها والقيام بها على الصورة التي أرادها الله – تعالى – ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه – عز وجل – لا يكلف النفس فوق طاقتها أبدًا : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } . **سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .**

وتتضح لنا هذه الحقيقة في رسالة الإسلام بشكل أكثر عندما تتم المقارنة بين ما كانت عليها الأمم السابقة من المشقة والعنت ، وما صارت عليه أمة الإسلام من يسر وسهولة ، يقول الله تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

فقد خفف الله – تعالى – عن عباده الأغلال والأثقال التي كانت ترافق شرائعهم فتثقل بها كواهلهم ، وتصعب معها حياتهم ، وهذا فضل كبير من الله – تعالى – لهذه الأمة .

فالدين الإسلامي قائم على اليسر والسماحة إن الدين الإسلامي بمجمله قائم على اليسر ورفع الحرج ابتداء من العقيدة وانتهاء بأصغر أمور الأحكام والعبادات بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت ، وهذا ما أشار إليه الله تعالى في مواطن كثيرة من كتابه العزيز منها قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } سورة الحج ، الآية : ٧٨ ، وقوله أيضًا: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ ، وقوله عز وجل: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } سورة النساء ، الآية : ٢٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ. أخرجه البخاري (٣٩) و"النَّسائي" ١٢١/٨.

ومن قواعد التيسير ورفع الحرج في التشريع الإسلامي :

١ – التوبة:

ومن يسر هذا الدين وسعته ورحمته أن الله – تعالى – جعل الأعمال الصالحة مكفرات لخطايا بني آدم ، لقوله تعالى: { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } سورة الفرقان ، الآية : ٧٠ .

٢ – الأصل في الأشياء الإباحة:

ومن أهم المرتكزات التي قام عليها منهج التيسير في الإسلام أن الأصل في الأشياء حلها وإباحتها ، وليس منعها وحرمتها ، فكل ما خلق في هذا الكون مسخرٌ للإنسان ومهيأ للاستمتاع به ، ما لم يكن فيه نهي صريح ، يقول الله تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } سورة الجاثية ، الآية : ١٣ . ويقول عليه الصلاة والسلام: « إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » صحيح البخاري ، رقم٧٢٨٩ ، ص١٢٥٤ . ورواه مسلم في صحيحه برقم٦١١٦ ، ص١٠٣ .

٣ – الرخصة :

الرخصة في اللغة: التيسير والتسهيل ، أو اليسر والسهولة ،والرخصة قاعدة عظيمة من قواعد هذا الدين حيث تشمل جميع أمور الدين وجوانبه في العقيدة والعبادة والمعاملة والعقوبات وغيرها . وهي منحة وصدقة من الله – تعالى – لعباده ، كما قال عليه الصلاة والسلام: « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » . صحيح مسلم ، رقم١٥٧٣ ، ص٣٧٩ .

وقال عليه الصلاة والسلام: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » مسند أحمد ، رقم٥٨٧٣ ، ص٤٥٣ . ورواته ثقات .

ومن الأمثلة على الرخصة :

أ – الرخصة في السفر: وذلك بقصر الصلاة الرباعية المفروضة ، والجمع بين صلاتي الظهر والعصر وكذا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير . وكذلك الإفطار فيه ، لقوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس من البر الصوم في السفر » صحيح البخاري ، رقم١٩٤٦ ، ص٣١٣ . ورواه مسلم في صحيحه برقم٢٦١٢ ، ص٤٥٦.

ب – التيمم بالتراب عند عدم وجود الماء أو عند تعذر استعماله ، لقوله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } سورة المائدة ، الآية : ٦.

ج – الرخصة في الحيض والنفاس، وهما عذران للصلاة والصيام ومسّ المصحف والطواف بالنسبة للمرأة.

٤ – الخطأ والنسيان والإكراه:

وتظهر سماحة الإسلام في توافقه مع الفطرة الإنسانية السليمة التي خلقها في نفس الإنسان ، ومن هذه الفطرة الخطأ الذي يقع فيه الإنسان في معظم أحواله من غير قصد ، وكذلك ما يعتريه من النسيان ، وهو ما ذكره الله – تعالى – على لسان المؤمنين الذين قالوا: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } قال الله تعالى: " قد فعلت " صحيح مسلم ، رقم٣٣٠ ، ص٦٧ .

وأما الاستكراه فهو أمر خارج عن إرادة الإنسان ، لا يستطيع كل إنسان أن يتحمل ما قد يتعرض له من أذى أو ضرر أو تهديد بالقتل أو قطع عضو وغيره ، فحينها رخص له الشارع أن يتنازل عن بعض مفاهيمه الدينية تخلصًا من الحال التي يعانيها ، والعذاب الواقع عليه كما حصل لعمار بن ياسر رضي الله عنهما ، حينما ذكر آلهة قريش بخير ونال من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت وطأة التعذيب ، وقتل أبواه أمام عينيه ، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: « (كيف تجد قلبك؟) ، قال: مطمئنًا بالإيمان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن عادوا فعد) » رواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٥٧ . وذكره ابن حجر في الفتح عن عبد بن حميد من طريق ابن سيرين وقال: وهو مرسل ورجاله ثقات ، وذكر مراسيل أخرى في هذا المعنى ثم قال: وهذه المراسيل تقوي بعضه ببعض .

٥ – النهي عن الغلو في الدين:

إن دين الله – تعالى – يحمل في تطبيقه السعادة والعدالة للناس ، ولا يحمل الشقاء والعذاب ، فالإنسان الذي يأخذ هذا الدين كما أراده الله – تعالى – باعتدال وفهم ووعي ينال السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة ، وأما الذي يشادّ فيه ويتشدد في غير موضع التشدد ، ويحرم الحلال والمباح ، فإنه ينال الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة ، يشير إلى هذا المعنى ربنا – عز وجل – في أول سورة طه قائلا : { طه }{ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } سورة طه ، الآيتان : ١ ، ٢ .

ويقول عليه الصلاة والسلام: « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا . صحيح مسلم ، رقم٦٧٨٤ ، ص١١٦٣ .

والمتنطعون كما فسره النووي رحمه الله: المتعمقون المشدِّدون في غير موضع التشديد. رياض الصالحين ، ص٥٤ ، باب الاقتصاد في الطاعة.

و تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانة ، تذكر من صلاتها قال: (مهْ عليكم بما تطيقون فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَملوا) وكان أحب الدِّين إليه ما داوم صاحبه عليه » رواه البخاري ، رقم٤٣ ، ص١٠ . ورواه مسلم في صحيحه برقم١٨٣٤ ، ص٣١٨-٣١٩ .

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: « دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حُلُّوه ليُصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد » صحيح البخاري ، رقم١١٥٠ ، ص١٨٤ . ورواه مسلم في صحيحه برقم١٨٣١ ، ص٣١٨ .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، ثَائِرُ الرَّأْسِ ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا قَالَ لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَصِيَامُ رَمَضَانَ قَالَ هَلْ عَلَىَّ

غَيْرُهُ قَالَ لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الزَّكَـاةَ. قَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا قَالَ لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَالله لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَفْلَحَ إِنْ صَـدَقَ. **أخرجه مالـــك "الموطـــأ" ٤٨٥ ، وأحمـــد ١٦٢/١(١٣٩٠) "البُخَـــارِي" ١٨/١(٤٦) و٣٣٥/٣(٣٦٧٨) و"مسلم" ٣١/١(٨).**

وهناك القواعد الشرعية المستنبطة من النصوص الواردة في اليسر استنبط علماء الأصول من النصوص الواردة في سماحة الإسلام ويسره ، بعض القواعد وجعلوها معالم لعلم الأصول ، ونذكر منها قاعدتين أساسيتين ، هما:

١ – "المشقة تجلب التيسير":

ومعنى هذه القاعدة الأصولية أن الأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله ، فإن الشرع قد أجاز له عدم القيام بها .

٢ – "الضرورات تبيح المحظورات" :

ويلحق بهذه القاعدة قاعدة أخرى هي بمثابة ضابط وقيد لها ، وهي: " الضرورات تقدر بقدرها " .

ومن مظاهر اليسر والسماحة في الصيام :

– أن الصيام لم يفرض إلا في شهر واحد من السنة وهو شهر رمضان ، لقولـــه تعالى: { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ } صحيح البخاري ، رقم١٤٨٣ ، ص٣٤١ . وهذا تيسير وسعة في زمن هذا الفرض ، يستطيع المؤمن أداءه بصورة مقبولة من غير عنـــت ولا مشقة .

– أن وقت الصيام من الفجر إلى غروب الشمس ، ولا يجوز الزيـــادة فـــي هـــذا الوقت ، من أجل ذلك نهي عن صوم الوصال وهو وصل صيام يـــومين أو ثلاثـــة متتاليات ، لما في ذلك من مشقة وعنت على النفس ، وخطورة علـــى الإنـــسان ، يقول عليه الصلاة والسلام : « لا وصـــال » مسند أحمد ، رقم١١٦١٩ ، ص٨٣٠ . رواته ثقات . يعني في الصوم.

– من أفطر خطأً أو ناسيًا فإنه يكمل صومه ، ولا حرج عليه ، فإنما أطعمه الله وسقاه ، يقول عليه الصلاة والسلام: « من أكل ناسيا وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه » صحيح البخاري ، رقم٦٦٦٩ ، ص١١٥١–١٥٢٠ . ورواه مسلم في صحيحه برقم ٢٧١٦ . ص٤٧١ .

– جواز الإفطار عند السفر أو المرض ، لقوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

– أن من لم يستطع الصوم يقضي أو يطعم إن لم يستطع القضاء .

– ومن فسد صومه فعليه القضاء والكفارة ومن لم يستطعهما فلا حرج عليه ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: « بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت ، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا ، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا ، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟ قال: لا ، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينا نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر – والعرق: المكتل – قال: أين السائل ؟ فقال: أنا ، قال: خذها فتصدَّق بها فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك ». صحيح البخاري ، رقم١٩٣٦ ، ص٣١١ . ورواه مسلم في صحيحه برقم٢٥٩٥ ، ص٤٥٣ .

فصوم رمضان يعد مظهرا مهما من مظاهر اليسر ورفع الحرج في التشريع الإسلامي ودليل على عظمة هذا الدين وأنه صالح لكل زمان ومكان .

(٩)

رمضان شهر المصالحة والمصارحة

رمضان فرصة للمصالحة والمسامحة وكذا فرصة للتغيير والمصارحة ، ففيه يتصالح المسلم مع نفسه ومع الناس ؛ فيتصالح مع نفسه بمراجعتها ومحاسبتها وبدء صفحة جديدة من التغيير إلى الأفضل والأحسن ، فيتعلم من الصيام تربية الضمير على التقوى وحسن مراقبة الله تعالى ، تحقيقا لهدف الصوم ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) سورة البقرة .

وبقدوم رمضان ينشرح صدره لأعمال الخير والبر ، قال تعالى : {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} (١٢٥) سورة الأنعام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَنَادَى مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ. **أخرجه ابن ماجة (١٦٤٢) . والتِّرمِذي (٦٨٢) . وابن خزيمة (١٨٨٣) . وابن حِبَّان (٣٤٣٥).**

والمسلم – كذلك – يتصالح مع الناس فهو يعرف أن من فوائد وثمار الصوم أنه يذهب حر الصدر .عن عمرو بن شرحبيل قال : رجل : يا رسول الله ، أرأيت رجلا يصوم الدهر كله قال : وددت أنه يطعم الدهر كله قال : ثلثيه ؟ قال أكثر قال نصفه

قال أكثر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم ما يذهب حر الصدر صيام ثلاثة أيام من كل شهر . أي غله وحقده (رواه النسائي والزار وغيرهما).

قال تعالى في وصف المؤمنين :{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ } (٤٧) سورة الحجر. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم((إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادي:أين أهل الفضل؟؟فيقوم الناس وهم يسيرون فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ماكان فضلكم؟؟ فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا...فيقال لهم أدخلوا الجنة فنعم أجر العاملي)).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (كُلّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ). قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ ، نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ: (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ. لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ) رواه ابن ماجه (٤٣٠٧) وأبو نعم في الحلية ١٨٣/١ والطبراني في مسد الشاميين (١٣١٨) والخرائطي في مكارم الأخلاق .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليهم ، وأنا سليم الصدر ".[أخرجه أبو داود والترمذي].

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله وإن شرار أمتي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب}.[رواه الطبراني].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:"تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا" رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه ومالك وأحمد.

وسلامة الصدر سبب لدخول الجنة ومرضاة الرب ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة) ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت فقال: نعم ، قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاَ غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق . رواه عبد الرزاق (٢١٦٢١)و أحمد (١٢٤٠٥) والنسائي في الكبرى (١٠٥٩٧) قال المنذري رحمه الله تعالى " رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم " ا.هـ الترغيب والترهيب ٣/٣٤٨ وقال ابن كثير " هذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين " ا.هـ التفسير ٤/٣٣٩ وقال ابن حجر الهيتمي " رواه أحمد بإسناد على شرط الشيخين والنسائي بسند صحيح أيضا ". الزواجر ١/١٠٠.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام والصدقة؟" قالوا: بلى. قال: "إصلاح ذات البين" قال:

"وفساد ذات البين هي الحالقة". الترمذي: حسن صحيح (المسند (٤٤٤/٦) وسنن أبي داود برقم (٤٩١٩) وسنن الترمذي برقم (٢٥٠٩).

قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

قال تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}الحجرات: ١٠، وقال {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}الأنفال: ١، وقال: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}النساء: ١١٤، وقال: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا}النساء: ٨٥.

عن أُمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: » ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين الناس، فينْمي خيرا أو يقول خيراً « متفق عليه.

وفي رواية مسلمٍ زادتْ: » ولم أسمعه رخَّصَ في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني الحربَ، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجل امرأته، وحديثَ المرأة زوجها.

ولله در القائل :

إنَّ المكارم كلّها لو حُصِّلتْ ... ردعتْ بجملتها إلى شَيئَينِ

تعظيم أمر الله جلَّ جلاله ... والسَّعي في إصلاح ذات البَينِ

قال أبو الدَّرْدَاءِ كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ قَالَ وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ غَامَرَ سَبَقَ بِالْخَيْرِ. **صحيح البخاري ٥٩/٦.**

روى أبو يعلى في المسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدتْ ثناياه!! فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأُمي؟فقال: رجلان من أُمتي جثيا بين يدي ربِّ العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا ربِّ خذ لي مظلمتي من أخي... قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يا ربِّ لم يبق من حسناتي شيء!قال – يعني الطالب –: ربِّ فلْيحمل عني من أوزاري!قال: ففاضتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالبكاء، ثم قال: إنَّ ذلك ليوم عظيم، يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم أوزارهم!! فقال الله للطالب: ارفع بصرك وانظر في الجنان، فرفع رأسه. فقال: يا ربِّ! أرى مدائن من فضة، وقصوراً من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ؛ لأي نبيٍّ هذا؟ لأي صدِّيقٍ هذا؟ لأي شهيدٍ هذا؟قال: هذا لمن أعطى ثمنه. قال: يا ربِّ ومن يملك ثمنه؟قال: تعفو عن أخيك. قال: يا ربِّ، فإني عفوتُ عنه!!! قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخلا الجنة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : [فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم؛ فإنَّ الله يصلح بين المؤمنين]. **أخرجه الحاكم (٤/٦٣٠ ، رقم ٨٧١٨). (ضعيف الترغيب والترهيب).**

قال سفيان بن دينار لأبي بشر أحد السلف الصالحين: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشر: لسلامة صدورهم.

وقال ابن عباس بعد أن شتمه رجل: (إنك لتشتمني وفيَّ ثلاثُ خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله عز وجل فلوددتُ أنّ جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ...وإني لأسمع بالحاكم من حكَّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلّي لا

أُقاضي إليه أبدًا ... وإني لأسمع أنّ الغيثَ قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي من سائمة!).
وهذا أبو دجانة رضي الله عنه :دخلوا عليه في مرضه ووجهه يتهلل! فقالوا له: ما لوجهك يتهلل؟فقال: (ما من عملِ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين:كنت لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا).

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:دخل عليه عمران بن طلحة بن عبيد الله بعد وقعة الجمل – وقد استشهد أبوه طلحة رضي الله عنه ؛ فرحّب به، ثم أدناه، ثم قال: (إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: {ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخوانًا على سررٍ متقابلين}.

رُوي أنّ أبا الدرداء رضي الله عنه مرَّ على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبّونه فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب – أي في بئر – ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا : بلى. قال : فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم.

قال الحسن : أوحى الله إلى آدم عليه السلام أربع كلمات، وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك : واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق . فأما التي لي : فتعبدني لا تشرك بى شيئاً . وأما التي لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه . وأما التي بيني وبينك : فعليك الدعاء وعلى الإجابة . وأما التي بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به .
ويحكى أنَّ يزيد بن عبد الملك بلغه أيام خلافته أنَّ أخاه هشاماً ينتقصه. فكتب إليه معاتبا له: مثلي ومثلك كما قال الأول:

تمنى رجالٌ أن أموت فإن أمت ... فتلك طريق لست فيها بأوحدِ
لعل الذي يبغي ردائي ويرتجي ... به قبل موتي أن يكون هو الردي

فكتب إليه هشام إنّما مثلي ومثلك كما قال الأول:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... و عن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

فكتب إليه يزيد: نحن مغتفرون لك ما كان منك، حفظا لوصية أبينا فينا، وحـــضه إيانا على إصلاح ذات البين، وأنا أعلم كما قال معن بن أوس:

لعمرك ما أدري لأوجل ... على أينا تعدو المنية أولُ

وإني على أشياء منك تريبني ... قديما لذو صفحٍ على ذاك مجملُ

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كفٍّ تبدلُ!

إذا سؤتني يوما رجعت إلى غدٍ ... ليعقب يوماً منك آخر مقبلُ

ويركب حدّثني السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ

وفي الناس إن رثت حبالك واصلٌ ... و في الأرض عن دار القلى متحولُ

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن ... إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبلُ

فلما جاء الكتاب هشاما رحل إليه فلم يزل في جواره حتى مات خوفـــا مـــن شـــر الوشاة. **اليوسي : زهر الأكم في الأمثال و الحكم ١٣٠.**

وقال الشافعي: من أراد أن يقضي له الله بخير فليحسن ظنه بالناس. ولما دخـــل عليه أحد إخوانه يعوده قال: قوّى الله ضعفك ،فقال الشافعي رحمه الله: لو قـــوى ضعفي لقتلني،قال الزائر :والله ما أردت إلا الخير،فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

يقول ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا فإن لم تجد فقل :لعل له عذرًا لا أعرفه.

عنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَ اسْـــمُهُ عَبْدَ اللهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليـــه وســـلم ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا ، فَأَمَرَ بِـــهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّـــهُ يُحِـــبُّ اللهَ وَرَسُـــولَهُ. **أخرجه البُخَارِي ١٩٧/٨(٦٧٨٠).**

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِى رَافِعٍ ، وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ:بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا ، وَالزُّبَيْرَ ، وَالْمِقْدَادَ ، فَقَالَ : ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً ، مَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوهُ مِنْهَا ، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا ، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ ، فَقُلْنَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ : مَا مَعِي كِتَابٌ ، فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ ، أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا حَاطِبُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ – قَالَ سُفْيَانُ : كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا – وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا ، وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي ، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ ، فَقَالَ عُمَرُ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ ، أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ ، لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ". **أخرجه وأحمد ٧٩/١ والبُخَارِي ٧٣/٤(٣٠٠٧) و"مسلم" ١٦٧/٧ (٦٤٨٥).**

كان معروف الكرخي قاعدا يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه:أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال:الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة .فقال له صاحبه:أنما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم ,فقال:أذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا.

مر يهودي معه كلب على إبراهيم بن ادهم رحمه الله فقال له:أيهما اطهر لحيتك أم ذيل كلبي ؟ فرد عليه :أخي من يقرأ، قبل أن أكمل القصة ، توقع الرد فرد عليه بهدوء: أن كانت لحيتي في الجنة فهي اطهر من ذيل كلبك وان كانت في النار.لذيل كلبك اطهر منها.فما ملك اليهودي نفسه ألا أن قال :اشهد أن لا اله ألا الله و أن محمداً رسول الله ....ما هذا ألا خلق الأنبياء.

روي أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال فذهب إلى داره ليطالبه به،فلما وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة،فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله.ووقعت على حائط المجوسي ،فتحير أبو حنيفة ، وقال: ءان تركتها كان ذلك سببا لقبح جدار هذا المجوسي ،وان حككتها انحدر التراب من الحائط ، فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها:قولي لمولاك إن أبا حنيفة بالباب , فخرج إليه وظن انه يطالبه بالمال فاخذ يعتذر.فقال أبو حنيفة:هاهنا ما هو أولى ، و ذكر قصة الجدار ،و كيف السبيل إلى تطهيره.فقال المجوسي فأنا ابدأ بتطهير نفسي فأسلم في الحال.

إذَا شئْتَ أَن تَحْيَا ودينك سالم ... وحظك موفُورٌ وعِرْضُكَ صَيّنُ
لِسَانَكَ، لا تذكُرْ به عَوْرَةَ امِرىءٍ ... فعندك عَوْرَاتٌ ولِلنَّاس أَلسُنُ
وإنْ أبصرت عَيْنَاكَ عيباً فقل لها : ... أيا عَيْنُ لا تنظري؛ فللناس أعيُنُ
وعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ وجَانِبْ مَنِ اعتَدى ... وفارقْ ولكنْ بالتي هي أَحْسَنُ

وكما أن الصوم فرصة للمصالحة مع النفس ومع الناس فإنه كذلك فرصة للمصارحة مع النفس ومع الناس ، فالمسلم لا بد أن يتصارح مع نفسه ، فيصارحها بعيوبها ويقوم من اعوجاجها ، قال تعالى : " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) سورة الشمس .

عنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال:الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ

وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ. **أخرجه أحمد ١٢٤/٤(١٧٢٥٣) و"ابن ماجة" ٤٢٦٠ والتِّرْمِذِيّ" ٢٤٥٩ .**

ويروى عمر بن الخطاب قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على حاسب نفسه في الدنيا . ابن الجوزي في " تاريخ عمر بن الخطاب " (ص ١٧٦ – ١٧٧) وأبو نعيم في " حلية الأولياء " (٥٣/١).

قال الحسن البصري (رحمة الله) : إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته .

كان توبة بن الصمة من المحاسبين لأنفسهم فحسب يوماً، فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب؟ ثم خر مغشياً عليه، فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى .محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ٨١.

روي أن الأحنف بن قيس كان جالساً يوما فجال بخاطره قوله تعالي :(لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم)فقال : علي بالمصحف لألتمس ذكري حتى اعلم من أنا ومن أشبة ؟ فمر بقوم : (كانوا قليلاُ من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم . ومر بقوم : (ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ومر بقوم : (يؤثرون علي أنفسهم ولوكان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. ومر بقوم : (يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . فقال تواضعاُ منه : اللهم لست أعرف نفسي في هؤلاء ثم أخذ يقرأ فمر بقوم : (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ومر بقوم : يقال لهم (ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فقال : اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء حتى وقع

علي قوله تعالي : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً عسي الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم) . فقال : اللهم أنا من هؤلاء .

إلى كم أقول ولا أفعلُ * * * و كم ذا أحوم ولا أنزِلُ

وأزجر عيني فلا ترعوي * * * وأنصح نفسي فلا تَقبلُ

و كم ذا تعلّل لي ، ويحَها * * * بِعَلَّ وسوف وكم تمطل ؟

وكم ذا أُؤَمل طول البقا * * * وأغفل والموت لا يغفلُ ؟

و في كل يوم يُنادي بنا * * * منادي الرحيل : ألا فارحلوا

كأن بي وشيكاً إلى مصرعي * * * يُساق بنعشي ولا أُمهلُ

وكما يصارح الإنسان نفسه فإنه يصارح غيره فيعترف بتقصيره في حق الناس ، ويتحلل من مظالمهم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لاَ يَكُونُ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ.**أخرجه أحمد ٢/٤٣٥(٩٦١٣)** .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، قَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاَةٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. **أخرجه أحمد ٢/٣٠٣(٨٠١٦) و"مسلم" ٦٦٧١ و"التِّرمِذي" ٢٤١٨** .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر يعدل الصفوف في غزوة بدر الكبرى ويقوم بتسويتها لكي تكون مستقيمة متراصة، وبيده سهم لا ريش له يعدل به الصف، فرأى رجلاً اسمه سواد بن غزية رضي الله عنه ، وقد خرج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه، وقال له: «استوِ يا سواد» فقال: يا رسول

الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير. **انظر: صحيح السيرة النبوية، ص٢٣٦.**

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكان يقول : يا ليتني كنت شجرةً تعضدُ ثم تؤكل !! وكان له خادمٌ يأتيه بالطعام ، وكان من عادةِ الصديق أن يسأله في كل مرة عن مصدرِ الطعام ؛ تحرزاً من الحرام !! فجاءه خادمُه مرةً بطعامه ، فنسي أن يسألَه كعادته فلما أكلَ منه لقمة قال له خادمُه : لمَ لم تسألني – يا خليفةَ رسولِ الله – كسؤالكِ في كلِ مرة ؟ قال أبو بكر : فمن أين الطعامُ يا غلام ؟ قال : دفعه إليَّ أناسٌ كنتُ أحسنتُ إليهم في الجاهلية بكهانةٍ صنعتُها لهم ، وهنا ارتعدتْ فرائصُ الصديق ، وأدخلَ يده في فمه ، وقاء كلَّ ما في بطنهِ وقال : واللهِ لو لم تخرجْ تلك اللقمة إلا مع نفسي لأخرجتها ، كل ذلك من شدةِ خوفه وتقواه وتورعهِ عن الحرام ، وأما خوفُ عمر رضي الله عنه وشدةِ تقواه فعجبٌ من العجب ، سمع قارئاً يقرأُ قولَه تعالى: { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً } [الطور:١٣] فمرض ثلاثاً يعودهُ الناس . بل إنه قرأ مرةً قولَه تعالى : {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات:٢٤] فمرض شهراً يعودُه الناسُ مريضاً ، وأما عليٌ رضي الله عنه فكان يقبض لحيته في ظلمة الليل ويقول : يا دنيا غُري غيري أليَّ تزينتِ أم إليَّ تشوقتِ طلقتك ثلاثاً لا رجعةَ فيهن زادُك قليل وعمرُك قصير ، وخرج ابن مسعود مرة في جماعة فقال لهم ألكم حاجة ؟! قالوا : لا ؛ ولكن حبُ المسيرِ معك !! قال : اذهبوا فإنه ذلٌ للتابع ، وفتنةٌ للمتبوع .

وهاهو هارون الرشيد الخليفةُ العباسيُ العظيم الذي أذلَّ القياصرة وكسرَ الأكاسرة والذي بلغت مملكته أقاصي البلاد شرقاً وغرباً يخرج يوما في موكبهِ وأبهته فيقول

له يهودي:يا أمير المؤمنين : اتق الله !! فينـــزل هارونُ من مركبه ويسجدُ علـــى الأرض للهِ ربِ العالمين في تواضعٍ وخشوع ، ثم يأمرُ باليهودي ويقضي له حاجته ، فلما قيل له في ذلك !! قال : لما سمعت مقولتَه تذكـــرتُ قولَه تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [البقرة:٢٠٦] فخـــشيت أن أكون ذلك الرجل ، وكم من الناس اليوم من إذا قيل له اتـــق الله احـــــــمرتْ عيناه ، وانتفختْ أوداجه ، غضباً وغروراً بشأنه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : كفى بالمرء إثماً أن يقال له: اتق الله فيقول:عليك نفسَك !! مثلكُ ينصحنُي !!.

فمن المصارحة مع الناس نصحهم وعدم خداعهم ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، أَنَّ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : لِلهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِنَبِيِّهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ. أخرجه "أحمد" ٤/١٠٢(١٧٠٦٤) و"مسلم" ١/٥٣(١٠٧) .

عن مصعب بن سعد عن سعد قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صـــلى الله عليه و سلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وسماهم وابن أبـــي ســـرح فـــذكر الحديث قال وأما ابن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صـــلى الله عليه و سلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلـــك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال " أما كان فيكم رجل رشيد يقـــوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ " فقالوا ما ندري يارسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك قال " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين " قال أبو داود كان عبد الله أخا عثمان من الرضاعة وكان الوليد بـــن عقبـــة أخـــا عثمان لأمه وضربه عثمان الحد إذ شـــرب الخمـــر . أخرجه أبـو داود (٣٦٨٣ و ٤٣٥٩) و النسائي (٢ / ١٧٠) و الحاكم (٣ / ٤٥)و أبو يعلى في " مسنده " (١ / ٣١٦ – ٣١٧) الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٣٠٠.

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ:لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ ، وَجَمَعَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جَمْعًا كَثِيرًا ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ فِي عَشَرَةِ آلاَفٍ ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلاَفٍ ، قَالَ : وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ . قَالَ : فَجَاؤُوا بِالنَّعَمِ وَالذُّرِّيَّةِ ، فَجُعِلُوا خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ، قَالَ : فَلَمَّا الْتَقَوْا وَلَّى النَّاسُ ، قَالَ : وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ ، قَالَ : فَنَزَلَ وَقَالَ : إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : وَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ ، لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا كَلاَمًا ، فَالْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ ، فَقَالَ : أَيْ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَبْشِرْ ، نَحْنُ مَعَكَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَالَ : أَيْ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، نَحْنُ مَعَكَ ، ثُمَّ نَزَلَ بِالأَرْضِ وَالْتَقَوْا ، فَهُزِمُوا ، وَأَصَابُوا مِنَ الْغَنَائِمِ ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الطُّلَقَاءَ ، وَقَسَمَ فِيهَا ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ : نُدْعَى عِنْدَ الكَرَّةِ ، وَتُقْسَمُ الْغَنَائِمُ لِغَيْرِنَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَجَمَعَهُمْ ، وَقَعَدَ فِي قُبَّةٍ ، فَقَالَ : أَيْ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ : أَيْ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا ، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا ، لأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ ، تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ قَالُوا : رَضِينَا يَا رَسُولَ اللهِ ، رَضِينَا. قَالَ ابْنُ عَوْنٍ : قَالَ هِشَامُ بْنُ زَيْدٍ : فَقُلْتُ لأَنَسٍ : وَأَنْتَ تُشَاهِدُ ذَاكَ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ ذَلِكَ. **أخرجه أحمد ١٩٠/٣(١٣٠٠٩) و(البُخَارِي(٢٠١/٥(٤٣٣٣) و(مُسْلم(١٠٦/٣(٢٤٠٥) .**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛(أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم انْصَرَفَ مِنَ اثْنَتَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَقَصُرَتِ الصَّلاَةُ أَمْ نَسِيتَ ، يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ ؟ فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ.)". **أخرجه أحمد٣٧/٢(٤٩٥١) و((البُخاري)) ٤٨٢.**

عَنْ أَبِي عَقِيلٍ ، زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رضي اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : وَاللهِ ، لأَنْتَ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : فَلأَنْتَ الآنَ ، وَاللهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الآنَ يَا عُمَرُ. **أخرجه أحمد ٤/٢٣٣(١٨٢١١) و٤/٣٣٦(١٩١٦٩).**

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الجمعة بالناس، وكان قبل الجمعة يوم الخميس حين وزع عليهم ثوباً ثوباً، عندما أتته ثياب من اليمن اشتراها، فلما وصلت الثياب أعطى المسلمين، كل مسلمٍ ثوباً، وأخذ هو ثوباً واحداً، لكن عمر كان طويلاً، عملاقاً، كبير البنية، ما كفاه ثوبٌ واحد! فقال لابنه عبد الله : أعطني ثوبك مع ثوبي؛ لأني رجل طويل، ثوبك الذي هو حصتك مع المسلمين ألبسني إياه.

فقال عبد الله : خذ ثوبي، فلبس ثوبين –تغير الشكل، كيف يلبس ثوبين والمسلمون لبسوا من ثوب واحد– فبدأ الخطبة، وقال: أيها الناس! اسمعوا وعوا، فقام سلمان من وسط المسجد، وقال: والله لا نسمع ولا نطيع، فتوقف واضطرب المسجد، وقال: ما لك يا سلمان ؟قال: تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً ثوباً ونسمع ونطيع.قال عمر : يا عبد الله ! قم أجب سلمان ، فقام عبد الله يبرر لسلمان ، وقال: هذا ثوبي الذي هو قسمي مع المسلمين أعطيته أبي، فبكى سلمان ، وقال: الآن قل نسمع، وأمر نطع، فاندفع عمر يتكلم. **أعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١٨٠ .**

هكذا تعلم الصحابة رضوان الله عليهم الصراحة والوضوح في جميع أمورهم .

فيوم أن نجعل من شهر رمضان فرصة للمصالحة والمصارحة يوم أن نستفيد من هذا الشهر ، ويكون فرصة للتغيير ، وفرصة لتعديل السلوك وتحسين الأخلاق .

(١٠)

رمضان أمنيات وجوائز

المسلم إنسان لا يعيش الحياة عبثاً ، بل إنه يحدد أهدافه من كل عمل يقوم بـــه ، قال تعالى : " {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُــونَ} (١١٥) **سورة المؤمنون.**

وهو أيضا يحدد هدفه من العبادات ، فيعرف لماذا يعبد ربه ، ولماذا يحرص على رضا مولاه .

فهو عندما يصوم يحدد هدفه وآماله وأمنياته من هذا الصوم ، والمتأمل في آيات الصوم الخمس التي ذكرها الله تعالى في سورة البقرة يجد أن المــولى تباركــت أسماؤه قد حدد لنا الغاية والهدف من الصوم ، في نهاية كل آية من تلك الآيات ، فختم الآية الأولى بقوله " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" وختم الآية الثانية بقوله " إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" وختم الآية الثالثة بقوله " وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" وختم الآية الرابعة بقولــه " لَعَلَّهُــمْ يَرْشُدُونَ " ثم ختم الآية الخامسة بالتأكيد على التقوى فقال : " لَعَلَّهُــمْ يَتَّقُــونَ " فكأنه سبحانه قد جعل التقوى والعلم والشكر والرشد من أهم غايات الصوم ، ومن أوليات أمنيات الصائم .

١ – التقوى :

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) **سورة البقرة .**

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من أهم أهداف الــصوم ، ومــن أول أمنيات الصائم تعلم التقوى والمراقبة والمراجعة والمحاسبة ، وحــسن إخــلاص العمل لله رب العالمين .

قال الرازي : " الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهــوى

فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش ويهون لذات الدنيا ورياستها ، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج ، وإنما يسعى الناس لهذين ، كما قيل في المثل السائر : المرء يسعى لعارية بطنه وفرجه؛ فمن أكثر الصوم هان عليه أمر هذين وخفت عليه مؤنتهما ، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش ، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية فرضت عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيت عليهم في كتابي " (تفسير الرازي ٣/٤٨).

فالصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ يوماً لابنِ أخيه: (يا ابنَ أخي تَرى النَّاسَ ما أكثرَهُم: قالَ: نعم قال: لا خيرَ فيهم إلا تائبٌ أو تقي، ثم قال: يا ابنَ أخي ترى النَّاسَ ما أكثرَهُم؟ قلتُ: بلى: قال لا خيرَ فيهم إلا عالمٌ أو متعلمٌ). وقال أيضاً: عن تقوى اللهِ تعالى: (أن يُطاعَ فلا يُعصى، ويذكرَ فلا يُنسى، ويشكرَ فلا يُكفر(َ، وقال عليُ بنُ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه: التقوى الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليومِ الرحيل، وسألَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه أُبياً عن التقوى فقال أُبي: (هلَ أخذتَ طريقاً ذا شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فما عَمِلتَ فيهِ؟ قال: تشمرتُ وحذرتُ. قال: فذاكَ التقوى).

فالتقوى يا عبادَ اللهِ صلاحٌ في القلبِ وحساسيةٌ في الضميرِ، وشفافيةٌ في الشعورِ، وخشيةٌ مستمرةٌ، وخوفٌ دائمٌ، وحذرٌ دائبٌ وتوقٍ لأشواكِ الطريق، من الرغباتِ والشهواتِ والشبهاتِ والمطامعِ والمخاوفِ والوساوسِ وغيرِهَا قال الشاعرُ:

خلِ الذنوبَ صغيرَهَا * * * وكبيرَهَا ذاك التُقى

واصنعْ كماشٍ فوقَ أرضِ * * * الشوكِ يحذرُ ما يرى

لا تحقرنَ صغيرةً * * * إنَّ الجبالَ من الحصى

وقالَ طلقُ بنُ حبيب: إذا وقعتِ الفتنةُ فأطفئوُهَا بالتقوى، قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعملَ بطاعةِ اللهِ تعالى على نورٍ من اللهِ تعالى، تَرجو ثوابَ اللهِ تعالى، وأن تَترُكَ معصيةَ اللهِ تعالى على نورٍ من اللهِ تعالى، تخافُ عقابَ اللهِ تعالى.

والتقوى هي وصيةُ الأنبياءِ لأقوامِهم، فَما من نَبيٍ إلا وصى قومَهُ بتقوى الله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ياقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مّنْ اله غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ **[المؤمنون:٢٣]**. وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مّنْ اله غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ **[الأعراف:٦٥]**. ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءاخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مّنْ اله غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ **[المؤمنون:٣١-٣٢]**.

وكان رسولُ اللهِ إذا أوصى بوصيةٍ عَامةٍ بدأهَا بالتقوى، وإذا أوصى بوصيةٍ خاصةٍ بدأهَا بالتقوى، وإذا خطبَ خطبةً أوصى فيها بالتقوى: عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ. وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)) **[رواه أبو داود والترمذي]**.

والتقوى أعلى وأهم من النسب والحسب مهما علا فلله در الشاعر الذي قال :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه

فلا تترك التقوى إتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس

وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

والتقوى تتحقق بعدة أمور منها : الأول: محبةُ اللهِ عزَ وجلَ فمحبــةُ اللهِ تعــالى تحجزُ العبدَ عن ارتكابِ المعاصي، لأنَ المحبَ لمن يحبُ مطيعُ قال الشاعر:

تَعصي الإلهَ وأنت تَزعمُ حُبَهُ * * * هذا لعَمري في القياسِ شنيعُ

لو كان حُبُكَ صَادقاً لأطعتَهُ * * * إنَّ المحبَ لمن يحبُ مطيعُ

الأمرُ الثاني: أن نشعُرَ في قلوبِنَا بمراقبةِ اللهِ وأن نستحيّ منهُ ونعلمَ أنَــهُ رقيــبٌ عَلينَا شهيدٌ على أعمالِنَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنــتُمْ وَاللَّــهُ بِمَــا تَعْمَلُــونَ بَــصِيرٌ [الحديد:٤]. فإذا شَعرت قُلوبُنُا بمراقبةِ اللهِ تعالى لم تفعل المعاصي قال الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً * * * فلا تقل خلوتُ ولكن قل عَليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَ اللهَ يغفلُ ساعةً * * * ولا أن مَا يخفى عَليهِ يغيبُ

الأمر الثالث: مما يُعينُ عَلى تقوى اللهِ: معرفةُ ما في المعاصي والحرامِ من مفاسدَ وآلام قال تعالى: وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ [الكهف:٥٩].

الأمر الربع: أن نَتعلمَ كيف نتغلبُ على أهوائِنَا فَأَمَّا مَن طَغَى وَءاثَرَ الْحياةَ الــدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات:٣٧-٣٩].

الأمر الخامس: أن نعرفَ مكائدَ الشيطانِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٦]. تفسير السعدي ٨٦.

قال الشاعر :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التُّقَى * * * تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسِياً

وَخَيرُ لِبَاسِ المَرءِ طَاعَةُ رَبِّهِ * * * وَلا خَيرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهِ عَاصِياً

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها * * * لكان رسول الله حياً وباقيا

ولكنها تفنى ويفنى نعيمها * * * وتبقى الذنوب كما هيا

فالتقوى جلباب ورداء، ستر عليه خيمة تحترز بها من كل معصية، فإذا خرج الإنسان من هذا الرداء أو من هذا اللباس وقع وسقط.

فعن ثوبان مرفوعاً: ((لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً يجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً. قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))(رواه ابن ماجه في الزهد (رقم ٤٢٤٥) .) بسند صحيح.

والمسلم في شهر رمضان يعرف أن الله تعالى قد هيأ له أسباب تحصيل التقوى ، فصفد له الشياطين ، وغلق له أبواب النيران ، وفتح له أبواب الجنان ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إذا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ من شَهرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّياطِينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ، وغُلِّقَتْ أبوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ منْهَا بَابٌ، وفُتِحَتْ أَبوَابُ الجَنَّةِ فلمْ يُغْلَقْ منْها بَابٌ، ويُنَادِي مُنَادٍ: يا بَاغِيَ الخَيرِ: أَقْبِلْ، ويا بَاغِيَ الشَّرِّ: أَقْصِرْ، ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّار وذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» هذه الرواية للترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وصححه ابن خزيمة (١٨٨٣) وابن حبان (٣٤٣٥) والحاكم وقَالَ: على شرط الشيخين (٥٨٢/١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

فإذا ما جعل المسلم أمنيته وغايته تحصيل التقوى فإنه سيحصل على الجائزة من الله تعالى ، وللتقوى ثمار وجوائز كثيرة منها :

أنها سببٌ للخروجِ من كلِ ضيقٍ وسببٌ لنيلِ الرزق قال الله تعالى: وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ [الطلاق:٢-٣].

ومن ثمارِ التقوى تيسيرُ وسهولة كل أمر وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً [الطلاق:٤].

ومن ثمارِ التقوى تيسيرُ تعلمِ العلمِ النافعِ: وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة:٢٨٢].

ومن ثمار التقوى الظفرُ بمحبةِ الله ومعيتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [آل عمران:٧٦].
وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [البقرة:١٩٤].
ومن ثمار التقوى البركاتُ من السماءِ والأرض قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ [الأعراف:٩٦].
ومن ثمار التقوى حفظُ الذريةِ الضعافِ بعد الموتِ قال تعالى: وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً [النساء:٩].
ومن ثمار التقوى قَبولُ الأعمالِ قال تعالى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة:٢٧].
ومن ثمار التقوى الفوزُ بكرامةِ الله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات:١٣].
ومن ثمار التقوى الفوز بالجنة إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ [القمر:٥٤-٥٥].

إلزم طريق المتقين * * * وأترك لدرب المفسدين
فالمتقون إلى الهدى * * * ساروا بنهج المؤمنين
وحباهم الرحمن من * * * أفضاله العز المبين
وكساهم في جنة * * * ثوباً جديداً كل حين
وسقاهم ماءً طهو * * * راً لذةً للشاربين

٢- العلم:

قال تعالى : " أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)" سورة البقرة .
ربط الله تعالى في هذه الآية بين الصوم والعلم لأن " العالم بالله لا بد وأن يكون في قلبه خشية الله على ما قال : { إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء } [فاطر :

٢٨] . فذكر العلم والمراد الخشية ، وصاحب الخشية يراعي الاحتياط والاحتياط في فعل الصوم ، فكأنه قيل : إن كنتم تعلمون الله حتى تخشونه كان الصوم خيراً لكم . تفسير الرازي ٩٦/٣.

فالمسلم في شهر رمضان يحرص على مجالس العلم ، وعلى تعلم أحكام دينه ، حتى يفوز بالجائزة ، والجائزة هي :

أن العلم سبيل إلى توحيد الله تعالى وعبادته عبادة صحيحة . قال الله تعالى : " إنَّما يخشى الله من عباده العلماء " [فاطر : ٢٨] ، وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وأن العلم سبيل إلى دخول الجنة .فعن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما جئت لحاجة ؟! قال : لا . قال : أما قدمت تجارة ؟! قال : لا . قال : ما جئت إلا في طلب هذا الحديث . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " أخرجه الترمذي (٢٦٨٢).

وأن العلم ميراث الأنبياء.لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " (الترمذي).

وأن العلم سبيل العزة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم * * * على الهدى لمن استهدى أدلاّء

وقد كلّ امرئ ما كان يحسنه * * * والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً * * * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وأن العلم خير ميراث يتركه المرء : عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ قالَ قالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ: إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عمَلُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أووَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ .رواه مسلم.

فرمضان فرصة للتعلم والمسلم لا يتكبر على العلم لأنه لن ينال العلم مستح ولا مستكبر ، حُكي عن وكيع؛ قال:قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت:أخطأتُ في خمسة أبواب من المناسك بمكة،فعلَّمنيها حجام،وذلك أني أردت أن أحلق رأسي،فقال لي:أعربيٌّ أنت؟قلت:نعم،وكنت قد قلت له:بكم تحلق رأسي؟فقال: النسك لا يُشارَطُ فيه،اجلس،فجلست منحرفاً عن القبلة،فأومأ لي باستقبال القبلة،وأردتُ أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر،فقال:أدر شِقَّك الأيمن من رأسك؛فأدرته،وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت،فقال لي:كَبِّر،فجعلت أكبر حتى قمتُ لأذهب،فقال:أين تريد؟فقلت:رحلي،فقال:صلِّ ركعتين ثم امض.فقلت ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلاَّ ومعه علم.فقلت:من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟فقال:رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.ابن خلكان : وفيات الأعيان(٣/٢٦١).

قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما راددته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً ،فقال هشام:فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت له: زد في الضرب وزد في الحديث،

فضحك مالك وقال لـــي: اذهـــب وانـــصرف) من كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي(١٩٦/١).

٣- الشكر:

قال تعالى : " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُـدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِـنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) سورة البقرة.

ربط الله تعالى في هذه الآية الكريمة بين الصوم وبين الشكر ؛ فالـــصبر يـــستلزم الشكر ولا يتم إلا به و بالعكس، متى ذهب أحدهما ذهب الآخر ، فمن كـــان فـــي نعمة ففرضه الشكر والصبر .

فالمسلم دائم الشكر لربه على نعمه التي لا تعـــد ولا تحـــصى ، ولا تحـــصر ولا تستقصى . وفي الصحيحين عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "أنه قام حتـــى تورّمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ومـــا تـــأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً".

وقال لمعاذ: "والله يا معاذ، إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم في "المستدرك" وصححه، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (٧٩٦٩).

وقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الدنيا". صحيح: رواه أبو نعيم في "الحلية" والحاكم في "المستدرك"، عن ابن عباس، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (٥٣٥٥) ، و"السلسلة الصحيحة" رقم (٢١٧٦).

إذا كان شكري نعمة الله نعمة * * * عليّ له في مثلها يجب الشكرُ

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله * * * وإن طالت الأيام واتصل العمرُ

إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها * * * وإنْ مسّ بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منّة * * * تضيق بها الأوهام والبر والبحر

وإذا ما جعل المسلم شهر رمضان شهر شكر واعتراف بنعم المنعم فاز بجائزة الشكر ، فإن للشكر جزاء عظيم وثواب عند الله . لأن الشاكر امتثل أمر ربه ، وعرف واهب النعمة ، وأدرك قيمتها ، وأدى حق الله تعالى فيه . فمن شكر الله على كل نعمة قدر استطاعته ، بامتثال المأمور واجتناب المحظور ، فقد عبد الله وأتى بما أُمر به . فاستحق الثواب العظيم .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : (الشاكرون أطيب الناس نفوساً ، وأشرحهم صدوراً ، وأقرهم عيوناً ، فإن قلوبهم ملآنة من حمده والاعتراف بنعمه ، والاغتباط بكرمه ، والابتهاج بإحسانه ، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره ، وذلك أساس الحياة الطيبة ، ونعيم الأرواح ، وحصول جميع اللذائذ والأفراح ، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد، وطمعهم ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد).

وقد دلت النصوص على أن الشاكر إنما يشكر لنفسه ، لأنه هو المنتفع الذي سعى لحياة طيبة في الدنيا . وحياة منعمة في جنة الخلد يوم القيامة . قال تعالى : (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) [لقمان :١٢] .وقال تعالى :(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) [الروم: ٤٤] وقال تعالى : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) [العنكبوت :٦].

إن جزاء الشاكرين منه ما هو معجل في الدنيا ، ومنه ما هو مدخر ليوم الجزاء أحوج ما يكون الشاكر إليه . فمن ثمار الشكر وفوائده :

حفظ النعم من الزوال :إن الشكر قيد للنعم ، يبقيها ويحفظها من الزوال ، وهذا من أعظم آثار الشكر وثماره ، فإن الإنسان يحب بقاء النعم التي هو فيها ويكره زوالها.

وقد دلت النصوص على أن الشكر سبب لبقاء النعم ، وكفرها سبب في زوالها . فقال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ([إبراهيم :٧] والآية تدل بمعناها

على أن الشكر بقاء للنعم الموجودة . لأن الزيادة معناها : إضافة نعمة إلى نعمة وهذا ظاهر في سبق نعمة أخرى . فدلت الآية على أن الشكر كما يفيد زيادة النعم المفقودة فهو سبب لبقاء النعم الموجودة .وهذه سنة الله تعالى للخلق ووعده الصادق ، الذي لا بد أن يتحقق على أية حال.

وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[الرعد:١١].

ومن مأثور الإمام علي – رضي الله عنه – (احذروا نِفَار النعم ، فما كل شارد مردود).

ومن ومن مأثور كلام الحكماء : " من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ".

""الشكر قيد النعم الموجودة ، وصيد النعم المفقودة ".

ومن ثمار الشكر: زيادة النعمة : وهذا أثر عظيم – أيضاً– من آثار الشكر في الدنيا قبل الآخرة ولا أحبَّ للإنسان من بقاء نعمة هو فيها . وما أطعمه في زيادة ينتظرها ويرجوها ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم:٧].

قال ابن كثير– رحمه الله – (أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم . ويحتمل أن يكون المعنى : وإذْ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه. كما قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الأعراف:١٦٧].

إن الله تعالى أعلم عباده ووعدهم أنهم إن شكروا نعمته زادهم ، وهذا يتضمن بقاء النعم الموجودة . ووعدُ الله صِدْقٌ . وخزائنه ملأى ، لكن هذا مرتب على أمر واحد وهو الشكر . الشكر بأركانه الثلاثة : شكر القلب واللسان والجوارح ، ولو أن الشكر سبب في بقاء النعم الحاضرة – وما أكثرها وما أعظمها– لكان هذا موجباً للشكر ، وداعياً للعبد إليه . فكيف والشكر كفيلٌ –أيضًا–بالنعم المستقبلة .

من مأثور علي رضي الله عنه : (إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر معلق بالمزيد ، وهما مقرونان جميعاً . فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد) .

ومن ثمار الشكر الجزاء الجزيل عليه : قال الله تعالى عنه : (وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران :١٤٤] وقال عز من قائل : (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)[آل عمران :١٤٥].

قال ابن كثير –رحمه الله – أي: سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم).

والظاهر –والله أعلم– أن هذا الجزاء يكون معجلاً في الدنيا ، ومؤجلاً في الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويُجري عليهم أرزاقهم في الدنيا ويزيدهم من فضله . وذلك لأنه سبحانه وتعالى لم يذكر جزاءهم إلا ليدل ذلك على كثرته وعظمته . وليلعم أن الجزاء على قدر الشكر قلةً وكثرةً وحُسْناً.

ومن جوائز الشكر أيضا : رضا الله عن الشاكر ومغفرته له :وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا.أخرجه أحمد ٣/١٠٠(١١٩٩٦) "مسلم" ٧٠٣٢ والتِّرْمِذِيّ" ١٨١٦ .

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ ، وَرَزَقَنِيهِ ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ ، وَرَزَقَنِيهِ ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.أخرجه أحمد ٣/٤٣٩(١٥٧١٧) و"الدارِمِي" ٢٦٩٠ و"أبو داود"٤٠٢٣ و"ابن ماجة"٣٢٨٥ و"التِّرمِذي"٣٤٥٨ .

يحكى أن رجلا ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد الله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟فقال له: يا هذا، أَشْكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

روي أن عابداً رأى سليمان عليه السلام في عزة الملك فقال : يا ابن داود لقد

آتاك الله ملكاً عظيماً فقال سليمان لتسبيحة واحدة خير مما فيه سليمان فإنها تبقى وملك سليمان يفنى . **تفسير روح البيان ٣٦/٦.**

٤- الرشد:

قال تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) " **سورة البقرة .**

ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهاً أحدها : ما روي عن كعب أنه قال ، قال موسى عليه السلام : يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك؟ فقال : يا موسى أنا جليس من ذكرني ، قال : يا رب فإنا نكون على حالة نجلك أن نذكرك عليها من جنابة وغائط ، قال : يا موسى اذكرني على كل حال ، فلما كان الأمر على هذه الصفة رغب الله تعالى عباده في ذكره وفي الرجوع إليه في جميع الأحوال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وثانيها : أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية وثالثها : أنه عليه السلام كان في غزوة وقد رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء ، فقال عليه السلام : « إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً » **تفسير الرازي ١٠٩/٣.**

إن أهل الرشاد هم أهل الإيمان والهداية والحق ، وهم الموافقون للرشد يأخذون ما يأتيهم وينتهون عما ينهاهم .

قال الرازي ومعنى الآية أنهم إذا استجابوا لي وآمنوا بي : اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم ، لأن الرشيد هو من كان كذلك . **تفسير الرازي ١١٦/٣.**

وقال البقاعي : أي ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد والاهتداء إلى طريق الحق. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٩٣/١.**

ففي هذه الآية ربط المولى سبحانه بين الصوم والدعاء ، فشهر رمضان هو شهر الرجاء والدعاء ، واللجوء إلى رب الأرض والسماء ، فهو لا يرض بغير حب الله

حبا ، ولا بغير جواره وقربه قربا .

دخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه ، فقام رجل فصاح فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : ومن ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة ظلمني ، وغصب ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عمارة فاقعد مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لي بخصم ، قال : وكيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنازعه ، وإن كانت لي فقد جعلتها له ، ولا أقوم من مكان شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة .أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ١١٩/٩.

فانظر – أيها الحبيب – إلى بشر يتنازل عن ضياعه وما يملك في سبيل قربه من بشر ضعيف مثله ، ألا تريد أن تتنازل أنت عن بعض ما تحب من شهوات في شهر رمضان في سبيل قربك من خالقك ومولاك ، حتى تنال غفرانه ورضاه ؟ . وحتى تصبح من أهل الرشد والصلاح والفلاح .

ولكي تنال جائزة الراشدين ،قال تعالى : " وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) سورة الحجرات .

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لق الخطايا ؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده. قال : هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدي. قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .– إن صدقت هذه الرواية – لم يكن تاركاً الدنيا كسباً، بل قلباً . ابن الجوزي : تلبيس إبليس ٣٥.

قال ذو النون المصري، بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر، فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهر وذهب به إلى ذلك الجانب، قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت

وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة، فوجدت تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم، قال: فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت:

يا راقداً والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم**

كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم**

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال: فلما سمع ذلك قال: أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة، ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه.**ابن قدامة : التوابين ٢٣٧.**

قال أحدهم :

ما صمت من رمضان يوما واحداً* والناس صاموا والصيام رشاد**

لم أعصين الأمر فيه وإنما * أيام شهري كلها أعياد**

فهذه جوائز أربع لمن جعل غاية الصيام التقوى والعلم والشكر والرشد ، ولكن هناك غايات وجوائز كبرى يحصل عليها المسلم من صيام شهر رمضان وهي :

١- جائزة المغفرة

رمضان شهر جعله الله فرصة للتحلل من الذنوب والأوزار ، وطلب مغفرة ورضا العزيز الغفار ،قال تعالى : " وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) **سورة طه** ، وقال : " فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) **سورة المائدة** .

وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتاني جبريل فقال : يا محمد ! من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل : آمين فقلت : آمين قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله قل : آمين فقلت : آمين قال : و من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل

النار فأبعده الله قل : آمين فقلت : آمين . الحديث رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له " الترغيب والترهيب (٢/ ٦٦).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَواتُ الخَمسُ، والجُمعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَينَهنَّ إذا اجْتُنِبَتْ الكَبَائرُ» رواه مسلم (٢٣٣).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" [رواه البخاري ومسلم].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. أخرجه البخاري (٣٥) و"مسلم" ١٧٧/٢ و"النَّسائي" في "الكبرى" ٣٣٩٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. أخرجه النسائي ٢٠١/٣ و١٥٦/٤ و١١٧/٨ . الألباني :صحيح (٢١٩٢).

عَنْ عَائشةَ رَضيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قُلتُ: «يا رَسولَ الله، أَرأَيتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ ليلَةٍ ليلَةَ القدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قولي: اللَّهُمَّ إنَّك عَفُوٌّ كَريمٌ تُحبُّ العَفوَ فَاعْفُ عنِّي» رَوَاهُ التِرمِذيُّ وقَالَ: هَذا حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ رواه الترمذي (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠) والنسائي في الكبرى (١٠٧٠٨) وأحمد (١٧١/٦) وصححه الحاكم وقَالَ: على شرط الشيخين (٧١٢/١).

إلهي لست للفردوس أهلاً *** ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبة واغفر ذنوبي *** فإنك غافر الذنب العظيم

فالمسلم يصوم ويقوم ويتحرى ليلة القدر كل ذلك طلبا لمغفرة الله تعالى ، وخوفا من ناره وعذابه ، عن أبي سعيد الخدرى – رضي الله عنه – أن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال :" لا يصوم عبد يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا " . رواه الجماعة إلا أبي داود .

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنِ النَّبيِّ قَالَ: «إنَّ الصِّيامَ جُنَّةٌ يَستَجِنُّ بها العَبدُ من النَّارِ» رواه

أحمد (٣٩٦/٣).

أستغفر الله مما يعلم الله * * * إن الشقي لمن لا يرحم الله

ما أحلم الله عمن لا يراقبه * * * كل مسيء ولكن يحلم الله

فاستغفر الله مما كان من زلل * * * طوبى لمن كف عما يكره الله

طوبى لمن حسنت منه سريرته * * * طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

قيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي قيل فما تشتهي ؟ قال مغفرة ربي.

روى الذهبي في السير: أن عبد الملك، وعبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وتقول بعض الروايات إن عبد الله بن عمر كان معهم، وقد اجتمعوا في المسجد الحرام، وكان ذلك في عهد معاوية، فقال بعضهم: هلم فلنتمنه، فقال عبد الله بن الزبير منيتي أن أملك الحرمين، وأنال الخلافة، وقال مصعب: منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش: سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وقال عبد الملك: منيتي أن أملك الأرض كلها، وأخلف معاوية فقال عروة: لست في شيء مما أنتم فيه، منيتي الزهد في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يروي عنه هذا العلم.وكان معهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال : وأنا أتمنى مغفرة ربي . وكأنما كانت أبواب السماء مفتوحة فاستجابت لهذه الأمنيات في ساحة الحرم، وكأنما ظل عبد الملك يتذكر ذلك المجلس، كلما طاف به طائف من ذكريات الشباب، وكان يرى كلا منهم إلا عروة كان معلق القلب بالسماء، فلم يتمن شيئا من عرض هذه الدنيا وبهجتها، وإنما تمنى الزهد فيها، والفوز بالجنة، وأن تكون أيامه فيها وقفا على نشر العلم بين الناس، وتفجير ينابيعه في قلوبهم، ولذلك كان عبد الملك يقول: من سره أن ينظر إلي رجل من أهل الجنة فلينظر إلي عروة بن الزبير. ومات ابن عمر وهو صائم قائم . (الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٤١/٤)).

فلا تقصر في طلب العفو والمغفرة من الله في شهر رمضان ، قال أحد الأئمة:"لا تسئم من الوقوف على بابه ولو طردت""ولا تقطع الاعتذار ولو رددت""فان فتح

الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين ومد إليه يدك وقل له مسكين فتصدق عليه فإنما الصدقات للفقراء والمساكين".

يقول الله عز وجل "إني لأجدنى أستحي من عبدي يرفع إلى يديه يقول يا رب يا رب فأردهما فتقول الملائكة إلهنا إنه ليس أهلا لتغفر له فأقول ولكنى أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم إني قد غفرت لعبدي".

قال الشاعر :

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الذُّنُوبَا *** وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَتُوبَا

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينًا *** عَلَى زَلَّاتِهِ قَلِقًا كَئِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي سُطِرَتْ عَلَيْهِ *** صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا *** فَمَا لِي الْآنَ لَا أُبْدِي النَّحِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُفَرِّطُ ضَاعَ عُمْرِي *** فَلَمْ أَرْعَ الشَّبِيبَةَ وَالْمَشِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْغَرِيقُ بِلُجِّ بَحْرٍ *** أَصِيحُ لَرُبَّمَا أَلْقَى مُجِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ السَّقِيمُ مِنْ الْخَطَايَا *** وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتَمِسُ الطَّبِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي *** وَقَدْ وَافَيْتُ بَابَكُمْ مُنِيبَا

أَنَا الْمُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَفْوًا *** وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَا

٢-جائزة الشفاعة

قال تعالى : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) **سورة البقرة** ،وقال : " يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) **سورة طه** .

عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول عليهم زمن وقوفهم مع ما يعانونه من الحر والأهوال والكربات يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة ، ثم لا ينظر الله إليكم

) السلسلة الصحيحة ٢٨١٧ ، فيبحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم كي ينفس عنهم ما هم فيه من البلاء وليأتي سبحانه لفصل القضاء بين العباد ، فيأتون آدم فيعتذر ، فيأتون نوحاً فيعتذر ، فيأتون إبراهيم فيعتذر ، فيأتون موسى فيعتذر ، فيأتون عيسى فيعتذر ، فيأتون نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها ، أنا لها . فيشفع في أهل الموقف لفصل القضاء وذلك من المقام المحمود الذي وعده الله إياه في قوله : (وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) الإسراء/٧٩.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ) فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا

حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: هِيهْ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : هِيهْ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا ، قُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا ، فَضَحِكَ وَقَالَ : خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولا مَا ذَكَرْتُهُ إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ : (ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) رواه البخاري (٧٥١٠) .

فهذه شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وهي الشفاعة العظمى وهناك الأعمال الصالحة الطيبة التي تحاج عن صاحبها ، وتشفع له أمام الله تعالى يوم القيامة ، ومنها : الصيام والقرآن ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ.أخرجه أحمد ١٧٤/٢(٦٦٢٦) .

وعند أبواب الجنة يفوز الصائم بجائزة باب الريان ، عَنْ سهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «في الجنَّةِ ثَمَانِيَةُ أبْوَابٍ فيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانُ لا يَدْخُلُهُ إلاّ الصَّائِمُونَ» رَوَاهُ البخاري (٣٠٨٤) ومسلم (١١٥٥) والترمذي (٧٦٥) والنسائي (١٦٨/٤) وابن ماجه (١٦٤٠) وأحمد (٣٣٥/٥).

وفي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيّ: «إِنَّ في الجَنَّةِ باباً يُقَالُ لهُ الرَّيَّانُ يَدخُلُ منهُ الصَّائِمونَ يَوْمَ القِيامَةِ لا يَدخُلُ منْهُ أحَدٌ غَيرُهُمْ، يقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمونَ؟ فَيَقُومُونَ، لا يَدخُلُ منْهُ أَحَدٌ غَيرُهُم، فَإِذا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَم يَدخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» هذه الرواية للبخاري (١٧٩٧).

روى أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين في سبيل الله نودي يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان

، قال أبو بكر الصديق : يا رسول الله : ما على أحد يدعى من تلك الأبـــواب مـــن ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأرجو أن تكون منهم، [مسلم: ٧١٣/٢] الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٨٨٩/٦.

قال الشاعر:

فليتك تحلوا والحياة مريرة * * * وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * * * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * * * وكل الذي فوق التراب تراب

٣- جائزة الفرح والنعيم

قال تعالى : " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) سورة يونس ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّـــةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، مَرَّتَيْنِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَـــمِ الـــصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَرِحَ بِصِيَامِهِ) «رواه البخاري ومسلم » ٠ فيوم يدخل المؤمن الجنة وينعم بما فيها يعرف فضل الصوم والمشقة التي تحملها في الدنيا وكيف هانت مع أول غمسة في النعيم ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَـــالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْـــلِ النَّـــارِ ، يَـــوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَـــطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. . أخرجه أحمد ٢٠٣/٣(١٣١٤٣) و"مسلم" ١٣٥/٨(٧١٩٠).

عنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَلاَنَ الْكَلاَمَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ. ، وفي رواية :" إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلاَمَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. **أخرجه عبد الرَّزَّاق (٢٠٨٨٣) وأحمد ٣٤٣/٥ (٢٣٢٩٣) وابن خزيمة (٢١٣٧) قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٢١٢٣ في صحيح الجامع.**

فمن أحسن البدء أحسن الله له الختام، ومن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة.

٤- جائزة الرضوان الأكبر

ثم تأتي الجائزة الأكبر مجاورة الله تعالى ورضوانه الأكبر ، ورؤية وجه الملك جل شانه وعظم عن الشبيه والنظير سلطانه ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ جِيرَانِي ؟ فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ : رَبَّنَا ، وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِرَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ ؟ . **في بغية الباحث (٣٥١/١ ، رقم ١٢٦) . الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٥١٢.**

أصبحت ضيف الله في دار الرضا * وعلى الكريم كرامة الضيفان**

تعفو الملوك عن النزيل بساحهم * كيف النزول بساحة الرحمن**

يا رب عبد من عبادك مشفق * بك مستجير من لظى النيران**

فارحم تضرعه إليك وحزنه * وامنن عليه اليوم بالغفران**

عنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم ، قال:إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى ؟ يَا رَبِّ ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ ، وَأَىُّ شيء أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رضواني ، فَلاَ

أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَــدًا. أخرجه أحمد ٣/٨٨(١١٨٥٧و"البُخَارِي" ٨/١٤٢(٦٥٤٩) و"مسلم" ٨/١٤٤(٧٢٤٣) والتِّرْمِذِيّ" ٣٥٥٥ .

ثم الجائزة الأكبر رؤية وجه الكريم سبحانه وتعالى : فعن صهيب ، قــال : قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقولُ اللهُ تريدون شيئًا أَزِيدُكُمْ فيقولون ألم تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ألم تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِــنَ النَّــارِ فَيَكْــشِفُ الحجاب فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِهِــم .أخرجه مسلم (١/١٦٣ ، رقم ١٨١) ، والترمذي (٥/٣٨٦ ، رقم ٣١٠٥) . و أحمد (٤/٣٣٢ ، رقم ١٨٩٥٥) . (صحيح الجامع ١٨٩٥٥) .

رضاك خير من الدنيا وما فيها* * * يا منية القلب قاصيها ودانيها

ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي * * * أشهى إلي من الدنيا وما فيها

وليس للنفس آمال تؤملها * * * سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

اللهم اغفر لنا أجمعين، وتقبلنا في الصالحين، ولا تحرمنا من رضوانك العظيم، ولا من رؤية وجهك الكريم .

وكتبه راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في غرة شعبان ١٤٣١هـ = ١٣ /٧/ ٢٠١٠م

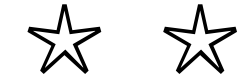

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١- من فضائل الصوم	٢
٢- من فوائد الصوم	١١
٣- رمضان وسبل النجاة	٢٠
٤- رمضان شهر مدارسة القرآن	٣٩
٥- الصوم والإحسان	٤٥
٦- الصوم وحفظ الجوارح	٥٠
٧- الصوم والمحافظة على الوقت	٦٥
٨- الصوم ويسر التشريع الإسلامي	٧٠
٩- رمضان شهر المصالحة والمصارحة	٧٧
١٠- رمضان أمنيات وجوائز	٩٢
الفهرس	١١٥